

الباب الرابع

دراسة الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

أ. تفسير الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

والمراد من الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور في هذه الرسالة هي آية ٣٥ من سورة

النور:

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۖ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في تفسير آية ٣٥ من سورة النور:

وكيف لا تنزجرون عن قهر الله أيها الغافلون، ولا تخافون عن بطشه أيها الضَّالون، أما تستحيون منه
سبحانه مع حضوره وشهوده في جميع الأماكن، وظهور نوره في عموم الآفاق والأنفس غيبا وشهادة
ظاهرا وباطنا أزلاً وأبداً أولاً وآخراً صورة ومعنى.

وكيف تتركون حدوده، وتخرجون عن مقتضى أوامره ونواهيهِ الموردة في كتبه المنزلة على رسله أيها
الجاهلون المسرفون؛ إذ (اللَّهُ) المتجلي بأسمائه الحسنی وصفاته العليا (نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي:
مظهرها وموجدهما، وموجد ما ظهر بينهما وفيهما وعليهما من كتم العدم، بلا سبق مادّة ومدة
بامتداد أظلال أسمائه وآثار صفاته عليهما (مِثْلُ نُورِهِ) أي: ظهور أنوار وجوده من هياكل الهويات
وشباك العكوس والتعينات (كَمِشْكُوتٍ) وهي كوة توضع فيه القناديل المسرجة، وهي مثال الأشكال

والمظاهر والتعينات المنعكسة من أشعة الأسماء والصفات الإلهية المتشعشة المتجلية بالتجليات الحبية على مقتضى الذات (فِيهَا مِصْبَاحٌ) وهي مثال نور الوجود الإلهي، المضيء بنفسه وذاته، ومن كمال شروقه وبروقه ولمعانه تحطف الأبصار وتكمل المدارك والأنظار، لذلك احتجب (الْمِصْبَاحُ) المذكور أولاً (فِي زُجَاجَةٍ) صافية عن كدر التعينات ورين التعلقات، وهي مثال الأسماء والصفات المنبسطة أظلالها على صفائح الأكوان.

ومن كمال اللطافة والصفاء، هذه (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) في غاية الإضاءة والإنارة، يتألاً ويتشعشع بصفاته الذاتية ولطافته الجبلية؛ لأنه (يُوقَدُ) ويسرج بدهن إلهي متخذ (مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ) كثيرة الخير والبركة لمن استظل تحتها، وهي شجرة الوجود الممتدة أظلالها على صفائح عموم ما ظهر وبطن من المظاهر والموجودات الغير المحصورة (زَيْتُونَةٍ) كثيرة النفع والخير؛ إذ الوجود خير محض ونفع صرف لا شر فيه ولا ضرر أصلاً (لَا شَرِّقِيَّةٍ وَلَا عَرَبِيَّةٍ) أي: معتدلة في نفسها، خارجة عن الجهات كلها غير محاطة بها.

ومن كمال صفاتها ولطافتها (يَكَادُ زَيْتُهَا) بإضاءتها الذاتية، وإشراقها العينية (يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) هي التجلي الحبي الشوقي، والمحبة الخالصة والعشق الإلهي.

وبالجملة: نور الوجود الإلهي (نُورٌ عَلَى نُورٍ) لا يدركه، ولا يتميز، ولا يطلع عليه أحد من مظاهره ومصنوعاته، بلا توفيق منه سبحانه وجذب من جانبه، بل (يَهْدِي اللَّهُ) الهادي لعباده إلى صفاء توحيده (لِنُورِهِ) أي: ضياء وجوده وسعة رحمته وجوده (مَنْ يَشَاءُ) من عباده من جذبه الحق نحو جانبه، ووقفه الوصول إلى فناء بابه.

(و) للتنبيه إلى هذا المقام والإشارة إلى هذا المرام، و(وَيَضْرِبُ اللَّهُ) المطلع لاستعدادات عباده (الأمثال) المنبّهة والأشباه المثيرة (للناس) المجبولين على فطرة التوحيد لهم؛ لعلهم يتفطنون على ما جبلوا لأجله ويتنبهوا على مبدئهم ومعادهم (وَاللَّهُ) المحيط بالآفاق والأنفس إحاطة حضور وشهود (بِكُلِّ شَيْءٍ) مما جرى في مملكة عموم المظاهر والمصنوعات (عَلِيمٌ) لا يغيب عن علمه شيء. ٦٣

ب. التحليل بتفسير الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

بدأ الشيخ عبد القادر الجيلاني في تفسير هذه الآية بخطاب الغافلين والضالين والجاهلين والمسرفين الذين لا ينزجون عن قهر الله ولا يخافون عن بطشه وتركوا حدوده وخرجوا عن مقتضى أوامره ونواهيه، ثم فقههم بصفة الحياء من الله الذي يحضر معهم ويشهد جميع أعمالهم في جميع الأماكن والأحوال. فهذا دليل أنه يريد إرسال نفوس الأمة إلى الله ولم يرض بغفلهم عن الله وضلالهم عن سبيل الله، مع أنّ إرسال النفس إلى الله أحد معنى التصوّف الذي قاله البستاني.

وبعد هذا الخطاب فسّر الشيخ عبد القادر الجيلاني بلفظ الجلالة بأنّه سبحانه وتعالى المتجلّى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتجلّى إذا مبحث من مباحث التصوّف. كما قاله فتحي حسن ملكاوي أنه في عهد الصحابة ظهر ميل عن بعضهم لاختيار الزهد نمطاً معيناً من السلوك الاجتماعي في العلاقة مع الناس، وهو نمط تطور فيما بعد ذلك إلى شيء من العزلة، عندما تزايدت مظاهر الاحتفال بالدنيا لدى بعض الفئات، وتواترت الفتن السياسية، وانتهى الأمر إلى تحول الزهد والعزلة إلى ما عرف بالتصوّف؛ فمضمون التصوّف أساساً هو الزهد في متاع الدنيا، والإكثار من

٦٣ عبد القادر الجيلاني، تفسير الجيلاني، جزء الثالث، (كويتا: المكتبة المعروفة، ٢٠١٠)، ٢٩٨-٢٩٩.

أعمال التقرب إلى الله سبحانه، ولا شك في أن ذلك من صور التزكية، والتدين الإسلامي بصورة عامة. لكن الأمر أخذ بعد ذلك صوراً من التجمع في فئات محددة يقوم أفرادها بالالتزام بتعليمات قيادة محددة، وإنمات من السلوك المحدد، في مجالات العبادة والذكر، وفي مجال العلاقات بين أفراد الجماعة، كما انتهت إلى استخدام مفردات ومصطلحات خاصة، قد يكون لها في الظاهر العام دلالات معينة، ولكن لها دلالات أخرى في الباطن الخاص بالجماعة أو بشيخ الجماعة. ومثال ذلك ما عرف في بعض نظم التصوف بالمنظومة الثلاثية (التخلي والتحلي والتجلي). فإذا كان التخلي ضرورة الإقلاع عن الآثام، وكان التحلي ضرورة الأخذ بالصفات الفاضلة، فإن ممارسة التخلي والتجلي إلى مستوى معين يمكن أن يدخل فيه "المريد السالك" حالة من الشفافية الروحية، والرفعة الوجدانية، يسمونها التجلي، حين يستشعر السالك فيها تجلي الحضرة الإلهية عليه.^{٦٤}

وقال الشيخ محمد بن عبد السلام بناني أن بالجملة فهو صلى الله عليه وسلم مرآة تجلي الأسرار وانفلاق الأنوار في قلوب المؤمنين كل على حسب حاله ومقامه، لأن كل مؤمن له حظ من التخلي والتحلي والتجلي. فإن كل مطيع فإنه ممتثل بطاعته أمر الله ونهيه. وما خطر ذكر الله بباله عند امتثال أمره ونهيه حتى تجلى لقلبه برحمته وخلاه عن معصيته وحلاه بطاعته، كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم في حق غيره بقوله "خيار أمتي الذين إذا رأوا ذكر الله"، أي لما يعلوهم من البهاء، وبقوله "خيار أمتي من دعا إلى الله وحبب عباده إليه". ولذلك كان عليه السلام مرآة لتجلي الذات للأسرار والصفات للأرواح والأفعال للأجسام، أي لطرق الإدراك، منها التي هي السمع والبصر وما معهما، لأنه المعرف بهما، فسمعتة منه الإذنان، كما أخبر بأنه تعالى المنفرد بالتأثير، وبين أفعاله

^{٦٤} فتحي حسن ملكاوي "التزكية في منظومة القيم الحاكمة"، اسلامية المعرفة، عدد ٥٧، صيف ٢٠٠٩، ١١-١٢.

الموت وما بعده، والحشر والميعاد. وفي الأمم الماضية، وبلغ ذلك سامعه لغيره فسمعت منه الإذان مباشرة أو بواسطة، وأدته ذلك للقلوب فاعتقدته. وفيه وبه أبصرت الأبصار، كثير منها ما هو خارق للعادة، وبلغ ذلك فشاهدوه لغيرهم، فشاهد ذلك فيه بالمباشرة أو بواسطة، ثم وصل للقلوب فاعتقدته. فبه شوهدت القلوب الأفعال من الله، وبه تحلت الأرواح بشهود صفة الله، وبه شاهدت الأسرار الذات العلية.^{٦٥}

وقال هالة العسيلي أنّ التركيبة تتم من خلال التخلي والتحلي والتجليد، فالتخلي عن الشهوات والرذائل هي البداية قبل أن يتحلى بالطاعات، وتعد مرحلة التخلي من أشق وأصعب المراحل التي يجتازها الإنسان في حياته، لأنه يتخلى فيها عن أمور تعود عليها وألفها، ويقاوم نفسه وهواه ويتحدى الشيطان بمجاهدة نفسه. وكما قال الإمام البوصيري:

والنفس كالطفل إن تملمه شب على * * حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم

ولذا فإن ترسيخ العقيدة وغرس الإيمان من الضرورة بمكان لتنفيذ أحكام الله سبحانه عن قناعة ورحابة صدر، وبالتخلي الصادق يكون المسلم وفيه لعقيدته فلا يفكر في العودة إلى الرذائل (كالظن والتجسس والغيبة). ثم تأتي بعد مرحلة التخلي عن الرذائل والتحلي بالطاعات، مرحلة التجلي، حيث يتجلى الله سبحانه على عبده (المتخلى المتحلي) بالنفحات الإلهية، والفيوضات الربانية، كما جاء في الحديث القدسي:

^{٦٥} عبد السلام بن مشيش، رياض الرقائق وحياض الحقائق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، ٢٨٤-٢٨٥.

"فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذ لأعيذنه" رواه البخاري. ولعل ذلك يتسق مع ما حدده القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة لبلوغ السلوك منتهاه المرغوب به، وهي مراتب ثلاث: الإسلام وتستهدف تعديل السلوك الظاهر ثم الإيمان حيث يتدعم السلوك الظاهر بالإيمان الباطن، والإحسان حيث تتناسق مهارات التفكير مع التطبيق والانفعال لتعزيز الموقف الذي تحدده التربية الإسلامية.^{٦٦}

وقال الشيخ علي جمعة حول كلمة "يخلي قلبه": هذه كلمة وقف عندها السادة الصوفية كثيرا. وقفوا عند التخلية من القبيح. ويأتي بعدها عندهم معني آخر. وهو أن: "يخلي قلبه" بكل صحيح. وهذه هي التحلية. إذن فهناك مرحلتان وهما: "التخلية والتحلية". التخلية تفرغ القلب من الشواغل والمشاغل. والتحلية هي تحميل القلب بهذه الصفات العالية من التوكل. ومن الحب في الله. ومن الاعتماد على الله. ومن الثقة بما في يد الله.. الخ. والسالك إلى الله لا يزال إلى الآن في المرحلة الأولى من الطريق. ومن التوبة. فإنه خلى قلبه من القبيح. وحلي قلبه بالصحيح. لكن تأتي توبة أخرى بعد ذلك. في مرحلة ثانية. يتشوق فيها قلب هذا التقي النقي. الذي خلا قلبه من الشواغل والمشاغل. وخلي نفسه وجوارحه من المعصية. ثم خلى قلبه من الشوائب. ثم حلي قلبه بتلك المعاني الفائقة الرائقة. وهو في كل ذلك يريد من الله أن يتجلى عليه. وهذا التجلي يأتي بعد التخلي والتخلي. فما معنى التجلي؟ معناه- كما قالت السادة الصوفية: التخلق بأخلاق الله: فالله تعالي رحيم. فلا بد من أن نكون رحماء. والله تعالي رءوف. فلا بد من أن نكون كذلك. والله تعالي غفور

^{٦٦} هالة العسيلي، إذاعة القرآن الكريم و دورها في تكوين الفرد المسلم، (مجهول المكان: العربي، ٢٠٢١)، ٥١-٥٢.

فلا بد أن نكون متسامحين. نغفر للآخرين.. ويصبح الإنسان في رضا عن الله.. عنده تسليم تام بقدر الله.^{٦٧}

وهذه المباحث التصوف التي قالها العلماء دلالة أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني لهذه الآية هو التفسير الصوّفي. وقد قالها أيضا في كتابه "الفتح الربّاني":

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني لمريد سلوك الآخرة أنه "لا يعرف هذا الأمر أي معرفة الله إلا من دخل فيه، فأما بمجرد الصفة فلا تعرفه".^{٦٨} وأول درجة معرفة الله هو التخلّي كما ذكرنا.

وتكلّم الشيخ عبد القادر الجيلاني حول عباد الله الذين لم يدخلوا في طريق معرفة الله بكثرة عددهم والذين دخلوا فيه فقليل حيث قال: "يا غلام ما صحت إرادتك للحق عز وجل ولا أنت مريد له، لأن كل من يدعي إرادة الحق جل وعلا ويطلب غيره فقد بطلت دعواه. مريدو الدنيا فيهم كثرة، ومريدو الآخرة فيهم قلة ومريدو الحق عز وجل الصادقون في إرادته أقل من كل قليل هم في القلة والعدم كالكبريت الأحمر، هم آحاد أفراد في الشذو ذ والندور".^{٦٩} هذا الكلام يدخل معناه في التخلّي الذي هو أول درجة للسلوك إلى الله كما قال العلماء الذين قد ذكرنا مبحثهم قبل.

وتكلّم الشيخ عبد القادر الجيلاني حول فائدة معرفة الله والطريقة إليها حيث قال: "يا غلام تعرض لمعرفة الله عز وجل فإنها أصل كل خير، إذا أكثرت من طاعته أعطاك معرفته، ولهذا قال النبي

^{٦٧} علي جمعة، "التخلي و التحلي و التجلي"،

<https://www.draligomaa.com/index.php/المكتبة/مقالات/الجمهورية-٢٠٣٧/item/التخلي-والتحلي-والتجلي>،

زمن الوصول ١١ مارت ٢٠٢٢.

^{٦٨} عبد القادر الجيلاني، الفتح الربّاني، (الإسكندرية: دار الريان للتراث، مجهولة السنة)، ٥٤.

^{٦٩} عبد القادر الجيلاني، الفتح الربّاني، ٥٨.

صلى الله عليه وسلم: "إذا أطاع العبد ربه عز وجل أعطاه معرفته، فإذا ترك طاعته لم يسلبها منه بل يقيها في قلبه ليحتج بها عليه يوم القيامة، يقول له: ميزتك بمعرفتي، وتفضلت عليك بها، لم لم تعمل بما علمت؟".^{٧٠} وهذا الكلام دليل أن العبد الذي يعلم أنه مطلوب بمعرفة ربه فسوف يسأله ربه يوم القيامة لم لم يعمل بذلك مع قدرته. فهذا الكلام يدخل في معنى التخلّي الذي هو أول درجة لمعرفة الله أيضاً.

وتكلّم الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أحوال سالكي طريق الأخرة من جهة التخلّي والتحلّي حيث قال: "ويلك تريد شيئاً بلا شيء ما يقع بيدك، إذا كانت الدنيا لا تحصل إلا بتعب فكيف ما عند الله عزوجل، أين أنت من الذين وصفهم الله عز وجل في محكم كتابه بكثرة عبادته فقال: "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالألسنة هم يستغفرون" لما علم منهم الصدق في عبادته أقام لهم من ينههم ويقيمهم من فراشهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل يا جبريل أقم فلاناً وأيم فلاناً". هذا له وجهان: أقم فلاناً فإنه صادق في عبادته هارب من ذنوبه ادفع عنه الغناء والنوم وأنم فلاناً فإنه كذاب منافق باطل في باطل لعنة في لعنة ألق عليه الكري حتى لا أرى وجهه في القائمين. الوجه الآخر أقم فلاناً فإنه محب طالب ومن شرط المحب التعب وأنم فلاناً لأنه محبوب ومن شرط المحبوب الراحة.^{٧١} في هذا الكلام بيّن لنا الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه كما في طريق حصول شيء من الدنيا له كسب وتعب، فهكذا في طريق حصول شيء من الأخرة. فهذا

^{٧٠} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٦٤.

^{٧١} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٨٩.

الكلام يدخل في معنى التخلّي والتحلّي الذان يطلبان لمريد طريق الأخرة بترك لذة دنياه لكي يدرك الثواب العظيم في الأخرة.

وبعد تفسير لفظ الجلالة أخذ الشيخ عبد القادر الجيلاني بتفسير كلمة " نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ " بأنّ معنى نور هو المظهر والموجد، وهذا المعنى قد فسره الشيخ عبد القادر الجيلاني بتأويله على خلاف ظاهر الآية لإشارات خفية التي تظهر له. ومن اللوازم التي عرفها العلماء مثل الصابوني وغيرهم أنّ من وجد معنى باطنا من القرآن فهم العارفون بالله والمجاهدون للنفس ونور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن.

وهذا التفسير ليس كتفسير بعض المفسرين صوفيًا كان أو غيره، مثل:

قال القشيري في معنى "لله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" أي هادي أهل السموات والأرض، ومنه نورها. والذي منه الشيء يسمى باسمه الشيء. ومنه نور السموات والأرض خلقاً، فنظام السنوات والأرض وإحكامها وترتيبها بوصف إتقانها حاصل بالله تعالى. ويقال نور السموات والأرض أي منورها وخالق مافيه من الضياء والزينة، وموجد ما أودعها من الأدلة اللائحة. ويقال نور الله السماء بنجومها فقال: (وزينا السماء الدنيا بمصابيح، فكذلك زين القلوب بأنوار هي نور العقل و نور الفهم ونور العلم ونور اليقين و نور المعرفة و نور التوحيد، فلكل شيء من هذه الأنوار مطرح شعاع بقدره في الزيادة والنقصان^{٧٢}.

^{٧٢} عبد الكرم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠)

ونقل السلمي قول ابن عطاء رحمه الله في معنى **لله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** أي زين الله تعالى السموات باثني عشر برجاً وهو: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وزين قلوب العارفين باثني عشرة خصلة: الذهن، والانتباه، والشرح، والعقل، والمعرفة، واليقين، والفهم، والبصيرة، وحباء القلب، والرجاء، والحياء، والمحبة فما دام هذه الروح قائمة يكون العالم على النظام والسعة. وكذلك ما دامت هذه الخصال في قلب العارفين يكون فيها نور العافية وحلاوة العبادة.^{٧٣}

قول محمود الألوسي في روح المعاني أن تفسير **"الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"** أي منور السموات والأرض وتنويره سبحانه السموات والأرض قيل بالشمس والقمر وسائر الكواكب ونسب إلى الحسن ومن معه. وقيل تنوير السموات بالملائكة عليهم السلام وتنوير الأرض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء ونسب إلى أبي بن كعب^{٧٤}.

وقال التستري أن معنى **"الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"** أي مزين السموات والأرض.^{٧٥}

وقال النيسابوري أن تفسير **"الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"** يحتمل على أو جه، وهي: نور السماء بالملائكة وبالأجرام النيرة والأرض بها وبالأنبياء والعلماء وهو مروى عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية. وقيل: هو تدبيره إياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد إذا كان يدبر أمورهم تدبيراً حسناً، فهو لهم كالنور الذي يهتدي به في المضائق والمزالق. وهذا القول

^{٧٣} محمد بن حسين بن موسى السلمي، حقائق التفسير، جزء ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، ٤٥.

^{٧٤} محمود الألوسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مجهولة السنة)، ١٦٤.

^{٧٥} سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة: دار الحرم للتراث، ٢٠٠٤)، ٢٠٦.

اختيار الأضم والزجاج. وقيل: هو نظمه إياهما على النهج الأحسن والوجه الأصلح. وقد يعبر بالنور عن النظام^{٧٦}.

وقال الصابوني أنّ هذه الآية تضمنت وجهها من البلاغة وهي إطلاق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة "الله نور السموات" بمعنى منور لكل شيء بحيث كأنه عين نوره، قال الشريف الرضي: وفي الآية استعارة. على تفسير بعض العلماء. والمراد عندهم أنه هادي أهل السموات والأرض بصوادع برهانه، ونواضع بيانه، كما يهتدى بالأنوار الثاقبة والشهب اللامعة^{٧٧}.

فكّل من هؤلاء المفسّرين في تفسير معنى "نور" يستعملون الكلمات التي ليست كالشيخ عبد القادر الجيلاني يستعملها. منهم من يقول أنّ معنى "نور" المنور ومنهم من يقول المدبّر ومنهم من يقول المنظّم ومنهم من يقول الهادي. وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّ معناه المظهر. فهذه دلالة أنّ معنى الآية الذي وجدته الشيخ عبد القادر الجيلاني ليس من جهة التقليد إلى غيره، ولكن وجدته من إلهام وإشارة خفية تظهر له.

وقد وجد الباحث عدّة مواضع استعمال كلمة "الظهور" عند الشيخ عبد القادر الجيلاني من خلال كتبه، كما قاله في كتاب "الصلوات الشيخ عبد القادر الجيلاني" الذي شرحه الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتابه "كوكب المباني وموكب المعاني"، وقوله: "اللهم صل وسلم، وأتحف وأنعم، وامنح وأكرم، وأجزل وأعظم، أفضل صلاتك، وأوفى سلامك، صلاة وسلاما

^{٧٦} الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورضائب الفرقان، الجزء الخامس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)،

يتنزلان من أفق كنه باطن الذات إلى فلك سماء مظاهر الأسماء والصفات، ويرتقيان عند سدره منتهى العارفين إلى مركز جلال النور المبين، على سيدنا ومولانا محمد عبدك ونبيك، ورسولك، علم يقين العلماء الربانيين، وعين يقين الخلفاء الراشدين، وحق يقين الأنبياء المكرمين، الذي تاهت في أنوار جلاله أولو العزم من المرسلين، وتحيرت في درك حقائقه عظماء الملائكة المهيمين، المنزل عليه في القرآن العظيم بلسان عربي مبين: "لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" (سورة آل عمران : ١٦٤).

وقال الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في شرحه: (من أفق): أي بضممتين الناحية من الأرض ومن السماء، والجمع: آفاق كذا في المصباح، (كنه): بضم فسكون حقيقة الشيء، (باطن): أي خلاف الظاهر، (الذات): الإلهية، وكونهما يتنزلان كذلك معناه من اعتبار غيب الغيب، فإن حقائق الأسماء الإلهية والصفات الربانية كنه الذات العلية، لا من حيث تعلق ذلك بالآثار الكونية، وأما من حيث هذا التعلق فهي الأسماء والصفات، ومقامه ﷺ ذاتي لا أسمائي صفاتي، والذات الإلهية ظاهرة لمن تحقق بها على البديهة، ومن شدة الظهور الخفاء.

والأسماء والصفات تنزلت ذاتية، فهي أخفي، ولهذا سيدنا محمد ﷺ رأى ربه كما ورد في ليلة المعراج لما انطوت الأكوان في حقيقة نوره، وتحقق بالمتجلي الحق في عين ظهور، كما قال العارف الشاذلي في همزيته: لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء (إلى فلك): بالتحريك، قال في المصباح: الفلك جمعه: أفلاك مثل : سبب وأسباب، وقال الراغب: الفلك مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك. بالسكون وهو السفينة، قال تعالى: "وكل في

فلك يسبحون" (يس: ٤٠). (سماء مظاهر): جمع مظهر، وهو: ما به ظهور الشيء فإن الآثار الكونية بما ظهور (الأسماء والصفات): الإلهية، ولهذا كانت أفلاك سمائها، (ويرتقيان)؛ أي: الصلاة والسلام بمعنى يصعدان الصعود المعنوي، (عند سدرة): هي شجرة النبق، (منتهى)؛ أي: آخر ما ينتهي إليه. (العارفين): برهم في سلوكهم الروحاني إلى المستوى الرحماني على البراق الإنساني بالتوجه الرباني، قال تعالى: "عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى" (النجم: ١٦-١٤).

(وحق يقين الأنبياء): عليهم السلام، الحق بمعنى: حقيقة الأمر، أي: حقيقة اليقين، وهو كمال التحقيق في اليقين بالله تعالى، فإنه تعالى ظاهر بأفعاله، وهو العالم علم الملك الظاهر، وظاهر أيضا تعالى بأسمائه وصفاته، وهو عالم الملكوت الباطن، وغير ظاهر بذاته؛ لأنه غني عن العالمين، كما قال: "فإن الله غني عن العالمينط (آل عمران: ٩٧) أي: بذاته، ومن لم يفرق بين هذه الحضرات الثلاث الإلهية سمي ظهوره تعالى بأفعاله ظهورا أسمائيا، أو ظهورا ذاتيا، ولم يعرف أنه ظهور أفعالي فوق في الالتباس، وحكم بجهله، وكفره جميع الناس، فيظن أنه اتحد بربه، أو حل بربه فيه وذلك كفر صريح، قال: "ولو جعلته ملكا لجعلته رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون" (الأنعام: ٩)، وقوله: "وهو الأول والأخر والقهر والباطن" (الحديد: ٣)؛ يعني: هو الأول من حيث ظهوره بفعله الأول، وكذلك هو الآخر من حيث ظهوره بفعله الآخر، وكذلك هو الظاهر من حيث ظهوره بأفعاله الظاهرة، وهي جميع الأشياء، وهو الباطن من حيث ظهوره بكل ما هو باطن، وأما من حيث ذاته تعالى على ما هو عليه فلا ظهور له أصلاً؛ لأنه تعالى من هذه الحيثية منزه عن الأولية والآخيرية، وعن الظهور والبطون؛ لأن ذلك من أحكام الممكنات وصفات

المحدثات، ومن لم يعرف ذلك فإذا غاب عن الأغيار بسلوكه في طريق الأنوار، ظن في نفسه اتحاداً أو حلولاً. والعياذ بالله تعالى. فكفر بربه، وبعد عن قربه، وجميع عبارات العارفين الموهمة لذلك معناها ما ذكرنا من الظهور الرباني بالأفعال لا بالذات العلية.^{٧٨} ويعلم من هذه الصلوات وشرحها أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني يستعمل كلمة "الظهور" لتكون عبارة عن ظهور الله تعالى أسمائياً وصفاتياً في جميع الأكوان. وجميع الأشياء التي وجدها العبد في هذا العالم دليل على ظهور آثار أفعاله جلّ وعلى.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في بعض مكاتباته التي جمعها الشيخ ميعاد شرف الدين الجيلاني في كتابه المسمّى "مكاتبات الشيخ عبد القادر الجيلاني وشرحها"، وقوله: "تظهر على قلبك رقوم لطائف أسرار" (واتقوا الله ويعلمكم الله). ومعنى "وتظهر على قلبك" أي تظهر: من الظهور بعكس الكمون. وهناك ظهور ذاتي. يعرفه صاحبه فقط. وظهور عام. ينتبه إليه الخاص والعام، والعبارة هنا إلى الظهور الأول. الذاتي، ومحل الظهور القلب^{٧٩}. ويعرف من هذا الكلام أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني يستعمل كلمة "الظهور" لتكون عبارة عن ظهوره تعالى في قلب المؤمن به المطيع لأمره ولذلك أوصى صاحبه بالتقوى.

ومن كلامه في طريق معرفة الله على سبيل النظر والتفكير في جميع المخلوقات كما نقله الشيخ علي محمد محمد الصلابي أنّه أشار الشيخ عبد القادر إلى أن معرفة الله فطرية وأن النفس

^{٧٨} عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، كوكب المباني وموكب المعاني شرح صلوات الشيخ عبد القادر الجيلاني، (بيروت: كتاب، مجهولة السنة)، ٨٣.

^{٧٩} ميعاد شرف الدين الكيلاني، مكاتبات سيدنا عبد القادر الجيلاني وشرحها، (بيروت: دار الكتب العلمية،

مقرة له بعبوديتها، وأن ذلك الإحساس نابع من داخل النفس البشرية. قال رحمه الله: "النفس بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشؤها وهي مفتقرة له بالعبودية". وأشار إلى النظر إلى الآيات الكونية المبتوثة في الأنفس والآفاق والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المعرفة الفطرية. فيقول: "أما معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهي أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد، فرد صمد الله الصمد و لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد (الإخلاص: ٢-٤)، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (شورى: ١١) لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ند ولا مشير". والمسلم وإن كان في فطرته معرفة الله عز وجل لكنه بالنظر والتفكير في مخلوقاته سبحانه يزيد إيمانه ويقوي يقينه في خالقه عز وجل، والشيخ عبد القادر الجيلاني يؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول: "استدل بصنعة الله عليه، تفكر في الصنعة وقد وصلت إلى الصانع، المؤمن الموقن العارف له عينان ظاهرتان، وعينان باطنتان فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله في الأرض، ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله في السموات". ويقول كذلك: "أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها؛ لأن في ذلك دلالة على الصانع، وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم".^{٨٠} ويعرف من هذا الكلام أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني تبّه المرادين السالكين طريق معرفة الله بإحساس وجوده بالنظر والتفكير فلي جميع الأشياء، لأنّ تفكّر الصنعة يحصل تفكّر الصانع وهو جلّ وعلى.

^{٨٠} علي محمد محمد الصلابي، العالم الكبير والمربي الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني، (القاهرة: مؤسسة اقرأ:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في باب "حقائق لا مظاهر": "يا غلام! صف قلبك بأكل الحلال، وقد عرفت ربك عزّ وجلّ (إذا فعلت ذلك عرفت ربك). وصف لقمته وخرقتك (لباسك) وقلبك، وقد صرت صافياً. التصوف مشتق من الصفاء. يا من لبس الصوف: الصوفي الصادق في تصوفه، يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل. وهذا شيء لا يجيء بتغير الخرق (الثياب)، وتصفير الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل. وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب".^{٨١}

ويعلم من هذا الكلام أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني في بيان الحقيقة يستخدم كلمة "مظاهر" لتكون عبارة عن علم الظاهر المنظر إليه الناس، والحقيقة ليس كذلك. ولكن الحقيقة محلّها في القلب الصادق مع الله والصافي عمّا سواه.

وفسّر بعد ذلك بكلمة "مثل نُورِه" باصطلاحات صوفية يعنى ظهور أنوار وجود الله من هياكل الهويات وشباك العكوس والتعنيات.

وقال ابن كثير أنّ في قوله تعالى "مثل نوره" في هذا الضمير قولان: أحدهما: أنه عائد إلى الله، عز وجل، أي مثل هداه في قلب المؤمن، قاله ابن عباس. والقول الثاني أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام و تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه، كمشكاة. فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه، كما قال تعالى: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (هود: ١٧). فشبه قلب المؤمن في

^{٨١} صالح أحمد اشامي، مواظب الشيخ عبد القادر الجيلاني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٢)، ١١١-١١٢.

صفائه في نفسه بالقدليل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت

الجيد الصافي المشرق المعتدل، الذي لا كدر فيه ولا انحراف.^{٨٢}

وقال النيسابوري أنّ معنى "مثل نوره" أي مثل نور الإيمان في قلب محمد كمشكاة فيها

مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله، والزجاجة نظير جسد محمد، والشجرة النبوة والرسالة.

وقيل: المشكاة نظير إبراهيم عليه السلام، والزجاجة نظير إسماعيل والمصباح نظير جسد محمد.^{٨٣}

وعند الطبري رواية في معنى هذه الآية وهو: حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال

قال ابن زيد في قول "مثل نوره" أي نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده، فهذا مثل

القرآن.^{٨٤}

وأولى الأقوال الذي اختاره الطبري في معنى الآية هو: مثل نور الله الذي أثار به لعباده

سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين.^{٨٥}

وقال الصابوني أنّ هذه الآية تضمنت وجهها من البلاغة: التشبيه التمثيلي "مثل نوره

كمشكاة فيها مصباح" شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن، بالمصباح الوهاج في كوة

داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في الصفاء والحسن إلخ، سمي تمثيلاً لأن وجه الشبه منتزع من

متعدد، وهو من روائع التشبيه.^{٨٦}

^{٨٢} إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٦، (رياض: دار طيبة، ١٩٩٩)، ٥٨.

^{٨٣} الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورضائب الفرقان، الجزء الخامس، ١٩٨.

^{٨٤} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٧، (جيزة: هجر، ٢٠٠١)، ٣٠٥.

^{٨٥} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٧، ٣٠٧.

^{٨٦} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٨٠٠.

وقال التستري أنّ النور مثل نور القرآن مصباح، المصباح سراجة المعرفة، وفتيلته

الفرائض، ودهنه الإخلاص، ونوره نور الاتصال.^{٨٧}

فمن هذه البيانات تظهر لنا في تأويل معان القرآن قد اختلف المفسرون فيه على حسب علومه الظاهرة والباطنة. فأهل التصوّف مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني والتستري والنيسابوري يحملون معناه على سبيل التصوّف، وأهل اللغة مثل الصابوني يبحث أنواع البلاغة لتوضيح معناه. وأهل الرواية يحملون معناه على سبيل الواية حيث يجتمعون الروايات الدالّة على معنى الآية فيختارون الأصوب، مثل الطبري وابن كثير. وعلى الجملة كلّ من المفسرين خلفيّة متأثرة في تفسيرهم.

وبعد ذلك أخذ الشيخ عبد القادر الجيلاني بتفسير أمثال نور الله. فسّر أولاً بكلم "مَشْكُوءٍ" بمعنى أنّها كوة توضع فيه القناديل المسرّجة، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّها مثال الأشكال والمظاهر والتعينات المنعكسة من أشعة الأسماء والصفات الإلهية المتشعّشة المتجلية بالتجليات الحبية على مقتضى الذات. وهذا المثال ليس المعنى الظاهر للآية، ولكنّه من معانيها الباطن التي تظهر لبعض أهل العلم.

وقال القشيري في معنى قوله تعالى "مثل نوره كشكاة" أي أراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته، فشبه مدرهبالمشكاة، وشبه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة، وشبه القنديل (الذي هو قلبه) بالكوكب الدرّي، وشبه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الاشتعال ثم

^{٨٧} سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٦.

وصف الزيت " بأنه على كمال إدراك زيتونه من غير نقصان أصابه، أو خلل مسه. ثم وصف ذلك

الزيت (في صفوته) بأنه بحيث يكاد يضيء من غير أن تمسه نار.^{٨٨}

وأولى الأقوال الذي اختاره الطبري أنّ معنى مشكاة؛ وهي عمود القنديل الذي فيه

الفتيلة، وذلك هو نظير الكرة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما يجعل ذلك العمود

مشكاة؛ لأنه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكرة التي في الحائط التي لا تنفذ.^{٨٩}

وقال الألويسي أنّ مشكاة أي كصفتها في الإنارة والتنوير، وقال أبو حيان: أي كنور

الكوة غير النافذة كما قال ابن عباس. وأبو مالك. وابن جبير. وسعيد بن عياض والجمهور، وقال

أبو موسى: هي الحديدية أو الرصاصية التي تكون فيها الفتيلة في جوف الزجاجية وعن مجاهد أنها

الحديدية التي يعلق بها القنديل.^{٩٠}

ويعلم من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّه يتكلم حول الأسماء والصفات مع أنّهما

مبحثان من مبحث أهل المعرفة والسلوك إلى الله، كما قال أحمد محمد الأسدي أنّ معرفة أسماء الله

وصفاته هي أصل التوحيد مع أنّ التوحيد في قلب المؤمن كشجرة أصلها ثابت في قلبه علما

واعتمادا، وفرعها من العمل الصالح في السماء مرفوعاً ومقبولاً، قال تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله

مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء" (إبراهيم: ٢٤). والكلمة الطيبة في

الآية الكريمة هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله، الدالة على الإيمان به عز وجل، ومن هنا كان القول

بأن معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد وأساسه الذي يستلزم أنواع التوحيد كلها ويتضمنها؛ فمن

^{٨٨} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، ٦١١-٦١٢.

^{٨٩} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٧، ٣٠٧.

^{٩٠} محمود الألويسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، ١٦٦.

عرف أسماء الرب عز وجل أعطاه حق الربوبية، ومن عرف أو صاف الإله عز وجل أعطاه حق الألوهية وأخلص له العبادة. وقال قوام الشئ الأصفهاني منقولاً عن بعض العلماء: "أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته. فإذا عرفه الناس عبده. قال الله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجدته، وسأل عن صغير أمره وكبيره. فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته، ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها".

والعلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى: والإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله، وهو السبيل لمعرفة الله، والعلم به، بل إن العلم بالله ومعرفة الله جل وعلا تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، وبمعرفة آثار الأسماء والصفات في ملكوت الله جل وعلا.^{٩١} فهذا الكلام دليل أن العبد إذا أراد أن يعرف ربه فأحد سبيله هو المعرفة بأسماء الله وصفاته.

ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته تحصل التلازم الوثيق بين صفات الله تعالى وما تقتضيه من

العبادات الظاهرة والباطنة:

صفة عبودية وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "لكل خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح. فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة يثمر له: عبودية التوكل عليه باطنا، ولو ازم التوكل وثمراته ظاهرا. وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفي عليه مثقال ذرة وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له:

^{٩١} أحمد محمد الأسدي، الجامع في الأسماء و الصفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهولة السنة)، ٧-٩.

حفظ لسانه وجوارحه، وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك: الحياء باطنا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده، وكرمه وبره وإحسانه، ورحمته توجب له سعة الرجاء. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له: الخضوع والاستكانة، والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها. والحاصل العبودية كلها رجعت إلى مقتضى الأسماء والصفات".^{٩٢}

نعرف من هذا الكلام أن أعمال الظواهر هي ثمرة العلوم البواطن، فمعرفة أسماء الله وصفاته تحصل له الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة.

وقال محمد بن خليفة بن علي التيمي أن توحيد الأسماء والصفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق، وقال وجوده إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها. ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين وقيوم السموات والأرضين الملك الحق المبين الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات.^{٩٣} ونعرف من هذا الكلام درجة العلم بأسماء الله وصفاته من سائر العلوم يعني بأنه أشرفها وأجل أن يعرفها العبد.

^{٩٢} أحمد محمد الأسدي، الجامع في الأسماء والصفات، ١٠-١٥.

^{٩٣} محمد بن خليفة بن علي التيمي، معتقد أهل السنة و الجماعة في توحيد الأسماء والصفات، (رياض: مكتبة أضواء

وقال محمد بن خليفة بن علي التيمي أنّ العلم بأسماء الله وصفاته يفتح للعبد باب معرفة الله مع أن محبة الشيء فرع عن الشعور به، فأعرف الخلق بالله أشدهم حباً له، وكل من عرف الله أحبه، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تستقر للعبد قدم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة، فالعلم بأسماء الله وصفاته يفتح للعبد هذا الباب العظيم، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته فهذا الباب موصول إلى قيام الساعة كما أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ حيث قال "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت". وكذلك فإن من المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي والله عز وجل يقول "وما أو تيتم من العلم إلا قليلاً" فهذه الآية تبين محدودية علم الانسان. وقد اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله هي مفتاح دعوتهم وزيادة رسالتهم، فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأصل الأول فيها: معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله. ثم يتبع هذا الأصل أصلاً عظيماً هما: تعريف الناس الطريق الموصلة إلى الله وهي (شريعته المتضمنة لأمره ونهيه) و تعريفهم مألهم في الآخرة.^{٩٤} ويعرف من هذا الكلام أنّ معرفة أسماء الله وصفاته تحصل المحبة له جلّ وعلى. مع أنّ معرفتهما أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

^{٩٤} محمد بن خليفة بن علي التيمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ١٦-١٧.

وقال محمد بن خليفة بن علي التيمي أنّ معنى توحيد الأسماء والصفات هو إفراد الله

بأسمائه الحسنى وصفاته العلي الواردة في القرآن والسنة والإيمان وبمعانيها وأحكامها.

وشرح مفردات تعريفه:

"إفراد الله": هذا معنى كلمة "التوحيد" فأصل هذه الكلمة من "وحده فيقال وحده. يوحد.

توحيداً: أي جعله واحداً." "بأسمائه الحسنى": أي بأسمائه: الاسم في اللغة هو اللفظ الموضوع لمعنى

تعييناً أو تمييزاً. أو الاسم: ما دل على الذات وما قام بها من الصفات. ومن أسماء الله تعالى: الله

والرحمن والرحيم والغفور والعزيز والقدير والسميع والبصير والبارئ وغير ذلك. "الحسنى": هذا

وصف لأسماء الله وقد ورد ذكره في القرآن الكريم. "وصفاته العلي": معنى "وصفاته": الصفة هي

ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية. ومعنى "العلي": هذا الوصف

جاء ذكره في نص القرآن العظيم. "الواردة في القرآن والسنة": أي يجب الوقوف في أسماء الله وصفاته

على ما جاءت به نصوص القرآن والسنة لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه. فلا نسمى أو نصف الله

بما لم يسم أو يصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. "والإيمان بمعانيها وأحكامها": أي

الإيمان بما تضمنته من المعاني وبما ترتب عليها من مقتضيات. فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه

أسماء الله وصفاته من المعاني وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام، بخلاف أهل الباطل الذين

أنكروا ذلك وعطلوه. فأهل السنة يؤمنون بأن كل اسم من أسماء الله يدل على معنى الذي نسميه

"الصفة" فلذلك كان لزاماً على من يؤمن بأسماء الله تعالى أن يراعي الأمور التالية:

أولاً: الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله عز وجل .

ثانياً: الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى أى الصفة .

ثالثاً: الايمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى والأحكام.^{٩٥}

فكَلَّ الكلام من مباحث أسماء الله تعالى وصفاته دلالة ان تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني هو التفسير الصوفي لأن معنى الآية الذي بحثه في تفسيره فقد قاله العلماء التصوف فيه. وفسر الشيخ عبد القادر الجيلاني كلمة "فِيهَا مِصْبَاحٌ" بمعنى أن المصباح مثال لنور الوجود الإلهي، المضيء بنفسه وذاته. وبيّن الشيخ عبد القادر الجيلاني بعض صفة ذلك المصباح وبيان أن من كمال شروقه وبروقه ولمعانه تخطف الأبصار وتكمل المدارك والأنظار. وهذا المثال أيضا لا يعرفها كثير من الناس الا لمن نور الله قلوبهم فألهمهم اسراره الخفية.

وقال الصابوني أن معنى "كمشكاة فيها مصباح" أي ككوة في الحائط لا منفذ لها ليكون أجمع للضوء، وضع فيها سراج ثاقب ساطع، قال في التسهيل: المعنى صفة نور الله في وضوحه، كصفة مشكاة. أي فتحة. فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر، من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة. وإن كان نور الله أعظم. لأن ذلك هو ما يدركه الناس من الأنوار، ضرب لهم به المثل طالمصباح في زجاجة" أي في قنديل من الزجاج الصافي.^{٩٦}

وأولى الأقوال الذي اختاره الطبري: "فيها مصباح" أي وهو الشرائع، وجعل الشراج، وهو المصباح، مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات.^{٩٧}

ويعرف من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه يبحث حول نور الوجود اللهي مع أنه يبحث من مباحث أهل السلوك والمعرفة. كما قال محمد بن منلا أبي بكر سليمان الكردي بيانا

^{٩٥} محمد بن خليفة بن علي التيمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء و الصفات، ٣١-٤٠.

^{٩٦} محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٩)، ٧٩٥.

^{٩٧} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٧، ٣٠٧.

لقول النبي ﷺ: "إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره". فالخلق هنا بمعنى التقدير؟ كانت وتلك المقدرات هي الأعيان الثابتة في العلم الأزلي، والنور المرشوش عليهم هو الوجود الإلهي المفاض عليها من جناب الحق تبارك وتعالى بعدما في ظلمة العدم فأشرقت الأرض بنور ربها، أي: أشرقت ظلمة العدم بنور الوجود المطلق الإلهي المشار إليه بقوله تعالى: "ألم تر إلى ربك كيف مد الظل" (الفرقان : الآية ٤٥) أي: ظل الأعيان الخارجية بإمداد الحق تعالى وإضافة النور عليها. ثم قال: "ولو شاء لجعله ساكنا" (الفرقان: ٤٥)، أي: لو أراد الحق تعالى عدم ظهوره لما ظهر من كتم العدم ولم يلبس نور الوجود.^{٩٨} ويعرف من هذا الكلام أنّ النور الوجود الإلهي هو النور المرشوش لعباده في وجودهم الفيضي.

وقال عاصم إبراهيم الكيالي أن العالم صورة الوجود الذات الحق، فإنه تعين أسمائه، وظهر الأسماء هو ظهور الذات الوجود، لأن الأسماء أمور عدمية معقولة غير مشهودة، والظهور وجودي، وبطون الذات عين ظهور الأسماء؛ لأن ظهور الأسماء هو عين ظهور الكثرة، وذلك مناف للوحدة الذاتية، فعين بطونه تعالى عين ظهوره، فهو الظاهر الباطن. فانظر ما أعجب هذا! فيا خيبة العقل في حكمه على الله تعالى الذات المطلق! وكما أن آلة التصوير لا تظهر عنها صورة إلا بالنور الشمس، فإذا كانت الشمس محجوبة لا تظهر عنها صورة ما قابلها، كذلك يقال في العلم الإلهي: لولا النور الوجود الذات ما ظهر شيء من المخلوقات؛ لأن المخلوقات ظل الحق تعالى ولا يظهر الظل عادة وشهادة، إلا بنور وشاخص وشيء يظهر الظل فيه. فالشاخص مرتبة الأسماء، والذي

^{٩٨} محمد بن منلا أبي بكر سليمان الكردي، الجامع للأسرار الإلهية و الحقائق الربانية و الحكم الدينية، (بيروت: كتاب،

يظهر الظل فيه أعيان الممكنات، والنور الوجود.^{٩٩} ويعرف من هذا الكلام أنّ نور الوجود الإلهي هو سبب ظهور وجود المخلوقات الذي لولاه لحتجبوا من هذا العالم.

فكّل الكلام من مباحث نور الوجود الإلهي دلالة أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني هو التفسير الصوفي لأنّ معنى الآية الذي بحثه في تفسيره فقد قاله العلماء التصوف فيه.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّه لكمال ذلك "المصباح" فاحتجب "في زُجاجة"، ومعنى الزجاج عند الشيخ عبد القادر الجيلاني هي زجاجة صافية عن كدر التعينات وريّن التعلّقات. وقال أنّ هذه العبارة مثال لأسماء الله وصفاته المستنبطة على صفائح الأكوان، مع أنّ مبحث الأسماء والصفات له تعالى من مباحث التصوّف كما ذكرناه.

وقال الطبري أنّ معنى "المصباح في زجاجة" هو القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله به قلبه في صدره ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها - بالكوكب الدرّي.^{١٠٠}

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني بعد ذلك عن كمال لطافة "الزُجاجة" وصفاءها بتفسير أمثال الله تعالى لهذه الآية بقوله "كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِيٌّ" وقال أنّ الكوكب الدرّي عبارة عن غاية الإضاءة والإنارة، يتلألأ ويتشعشع الذاتيّة ولطافته الجبليّة. ويبيّن السبب الذي يجعل الكوكب الدرّي في غاية الإضاءة والإنارة أنّه "يُوقَدُ" ويسرج بدهن إلهيّ متّخذ "مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ"، وقال أنّ معنى

^{٩٩} عاصم إبراهيم الكيالي، بغية الطالب على ترتيب التحلي بكليات المراتب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)،

شجرة مباركة هي الشجرة التي كثيرة الخير والبركة لمن استظلّ تحتها، وهي شجرة الوجود الممتدة أظلالها صفائح عموم ما ظهر وبطن من المظاهر والموجودات الغير المحصورة.

وقال النيسابوري أنّ معنى شجرة مباركة هو أن ابتداء تقوبه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهي الزيتون. عن النبي ﷺ "عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنها مصحة من الباسور" وقيل: سميت مباركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أو بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام.^{١٠١}

وقال الألوسي في معنى "يوقد من شجرة" أي يتبدأ ابقاد المصباح من شجرة "مباركة" له أي كثيرة المنافع بأن رويت ذبالبته بزيتها، وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين، وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام.^{١٠٢} فمن هؤلاء المفسرين الصوفيّين نجد أنّ تفسيرهم لآية "شجرة مباركة" قد تشبّهوا بعضهم بعضاً أي شجرة كثيرة الخير والبركة والنفع.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاي تلك الشجرة أنّها "زَيْتُونَةٌ" ومعنى الزيتون عنده كثيرة النفع والخير، وقال أنّ الوجود خير محض ونفع صرف لا شر فيه ولا ضرر أصلاً. ومعنى قوله تعالى "لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ" عنده أنّ الشجرة معتدلة في نفسها، خارجة عن الجهات كلها غير محاطة بها. وهذا المعنى قد وجده الشيخ عبد القادر الجيلاي على خلاف ظاهر الآية، أو يسمّى معنا باطنا.

^{١٠١} الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الجزء الخامس، ١٩٥.

^{١٠٢} محمود الألوسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، ١٦٧.

وعند ابن كثير رواية في معنى "زيتونة لاشرقية ولاغربية" وهي قول مجاهد: "زيتونة لا شرقية ولا غربية" أي ليست بشرقية، لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت، ولكنها شرقية وغربية، تصيبها إذا طلعت وإذا غربت. ١٠٣

وقال الألوسي أنّ معنى "الاشرقية ولاغربية" أي ضاحية للشمس لا يظلمها جبل ولا شجر ولا يحجبها عنها شيء من حين تطلع إلى أن تغرب وذلك أحسن لزيتها. ١٠٤ وقال "الاشرقية ولاغربية" إشارة إلى أنها ليست من عالم الحس الذي لا يخلو عن أحد الأمرين، ولا يخفي عليك أن هذا مع تكلفه وابتنائه على ما أسسه الفلاسفة الذين هم في عمى عن نور الشريعة. ١٠٥

فمن هذه البيانات يعرف أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني ليس ببعيد المعنى من تفاسير العلماء، صوفيًا كان أو رواية. فهذه دلالة أنّ تفسيره لا يخالف المعنى الظاهر للآية. ويعرف أنّ في تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّه تكلم حول شجرة الوجود مع أنّ مبحث شجرة الوجود له تعالى التي لها منافع كثيرة وبركات شاملة لجميع المخلوقات هي من مباحث أهل المعرفة والسلوك إلى الله، كما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لما أقام: ثقل من مقام إلى مقام، حتى استقر به المنزل فأقام.

فالمقام الأول: مقام الوجود في الدنيا، وهو قوله تعالى: "يا أيها المدثر قم فأندر" (المدثر: ٢-١).

والمقام الثاني: المقام المحمود في الآخرة، وهو قوله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" (الإسراء: ٧٩).

١٠٣ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٦، ٥٩.

١٠٤ محمود الألوسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، ١٦٨.

١٠٥ محمود الألوسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، ١٧٣.

والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة، وهو قوله تعالى: "الذي أحلنا دار المقامة من فضله" (فاطر : ٥٠).

والمقام الرابع: المقام المشهود، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى" (النجم: ٩-٨) الآية، فهو المخصوص بالدنو والعلو، والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود، لأن الوجود لما كان شجرة، كان هو لمرقها، وكان هو جوهرتها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحياة التي ينبت لها أصلها، فإذا عرست تلك الحياة، وعديت وريبت حتى نبتت وفرعت، وأورقت، وأزهرت وأثمرت فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحياة التي نبتت منها هذه الشجرة، فالحبة في البداية: نطفة حتى أظهرت صورة الشجرة. والشجرة في النهاية: بما ظهرت، فأظهرت صورة تلك الحبة، فكذلك بطونه - بالمعنى في السابق واحتفاؤه وظهوره في الصورة في اللاحق واشتهاره، وهو معنى قوله : "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"، فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة، وهو مظهر صورته فما برح بلسان القدم مذكورة، وفي طي العدم منشورا.^{١٠٦} ويعرف من هذا الكلام أن مبحث شجرة الوجود هو عبارة صوفيّة التي بحثها الصوفيّ ليعلمّ الناس حال الوجود في الدنيا.

وتكلّم الشيخ عبد القادر الجيلاني حول الشجرة التي نبتت في قلب عبد إذا صحّ قلبه حيث قال: "إذا صح القلب صار شجرة، لها أغصان وأوراق وثمار، تصير فيه منافع للخلق: الأنس والجن والملوك. إذا لم يكن للقلب صحة فهو كقلوب الحيوانات صورة بلا معنى، آنية بلا ماء، شجرة بلا ثمر، قفص بلا طائر، دار بلا ساكن، كنز مجموع فيه جواهر ودنانير ودراهم بلا منفق، جسد بلا روح، كالأجساد التي مسخت، فهي صورة بلا معنى. والقلب المعرض عن الله عز وجل الكافر

^{١٠٦} عز الدين بن عبد السلام السلمي، شجرة المعارف، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٣٥٧.

به ممسوخ؛ ولهذا شبهه الله عز وجل بالحجر فقال الله تعالى "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة" (سورة البقرة: ٧٤). لما لم يعمل بالتوراة بنو إسرائيل مسخ الله عز وجل قلوبهم حجارة وطردها من بابه، هكذا أنتم يا محمديين إذا لم تعملوا بالقرآن وتحكموا أحكامه يمسخ قلوبكم ويطردها من بابه. لا تكونوا ممن أضلّه الله على علم. إذا تعلمت للخلق عملت للخلق، وإذا تعلمت لله عز وجل عملت له الطاعة عمل الجنة، والمعصية عمل النار، وبعد ذلك الأمر إليه، إن شاء أثناب واحداً منا بلا عمل، وإن شاء عاقب واحداً مع عمل فذاك إليه، فعال لما يريد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. الصديق ينظر بنور الله عز وجل، لا بنور عينيه ولا بنور الشمس والقمر، هذا نور الله العام، وله نور خاص، أعطاه الله عز وجل هذا النور بعد أحكام نور العلم الثاني. اللهم ارزقنا حلمك، وعلمك، وقربك، واتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار". ١٠٧

ويعرف من هذا الكلام أنّ العبد الذي صحّ عبوديته وصفا قلبه نبتت في قلبه شجرة كثيرة النفع والبركة له وسائر حوله. فهذه عبارة عن كريم العبد له قلب سليم وأخلاق كريم.

وتكلم الشيخ عبد القادر الجيلاني حول نفسه التي قد بلغت مقاما عاليا ونبتت شجرة في قلبه حيث قال: "ويلك تزاحمني في مقامي الذي قد أقمت فيه ما تقدر ما يقع بيدك شيء بمزاحمتك، هذا شيء ينزل من السماء إلى الأرض، قال الله عز وجل: "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم". الغيث ينزل من السماء إلى الأرض ثم يظهر منها النبات، هذا الأمر ينزل من السماء إلى أرض القلوب فتتهتر وتبنت من كل خير تنبت الأسرار والحكم والتوحيد والتوكل والمناجاة والقرب من الله عز وجل، يصير هذا القلب فيه أشجار وأثار يصير فيه فياني وقفار

وبحار وأنهار وجبال يصير مجمع الإنس والجن والملائكة والأرواح، هذا شيء من وراء العقول قدرة محضة وإرادة وعلم يستأثره الله عز وجل وهو لأحاد أفراد من خلقه".^{١٠٨} ويعرف من هذا الكلام أنّ معنى الشجرة في القلب العبد لا يعرفها كثير من الناس بل خصّص الله أفرادا من عباده بعلمه.

فكّل الكلام من مباحث شجرة الوجود دلالة أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني هو التفسير الصوفي لأنّ معنى الآية الذي بحثه في تفسيره فقد قاله العلماء التصوف فيه وقاله الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه أيضا.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني عن كمال تلك الشجرة من صفائها ولطافتها بتفسير قوله تعالى "يَكَادُ زَيْتُهَا" أي بإضاءتها الذاتية، وإشراقها العينية "يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ" وقال أنّ معنى الإضاءة بغير مسّ النار عليه هي التجلي الحبي الشوقي، والمحبة الخالصة والعشق الإلهي.

وعند الطبري رواية في تفسير "يكاد زيتها يضيء" قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: "يكاد زيتها يضيء" قال: الضوء إشراق ذلك الزيت، والمشكاة التي فيها الفتيلة التي في المصباح، والقناديل تلك المصابيح.^{١٠٩}

وقال الألوسي أنّ معنى "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار" أي هو في الصفاء والاثارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلا.^{١١٠}

^{١٠٨} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٧٢.

^{١٠٩} محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٧، (جيزة: هجر، ٢٠٠١)، ٣٠٥.

^{١١٠} محمود الألوسي، روح المعاني، الجزء الثامن عشر، ١٦٨.

ومن هذين التفسيرين نجد أنه قد تخالف التفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني تفاسير العلماء من جهة معناه، ولكن لا يوجد في كلامه أن تفسيره هو المقبول وحده، فهذه دلالة صحّة رويه لتفسير الآية.

ويعرف من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه تكلم حول المحبة والعشق وأنه كان لكثير من الصوفيّة نظم أشعارا كثيرا في حبهم لله وعشقهم له، مثل جلال الدين الرومي الذي له تصنيف خاص في العشق الإلهي. وقال في أحد شعره:

أبيها القلب العزيز،

من أين تأتيك الشجاعة لتبتغي المحبوب

إذا كنت تعلم أنه قد أهلك الكثيرين مثلك من قبل؟

قال قلبي: "لا أبالي،

رجائي الوحيد أن أصبح

أنا والمحبوب واحداً".^{١١١}

فهذا الشعر عبارة عن كمال محبة الصوفي برّه جلّ وعلى حتى لا يرجى أحدا غيره ولا يريد أن يجتمع مع أحد سواه.

وقال عمار علي حسين حين يأتي ذكر المتصوفات يقفز اسم رابعة العدوية إلى المقدمة، كامرأة فريدة في الثقافة الشعبية العربية مكلفة بتقدير وعرفان ومحبة. وتعتبر نفيسة عابد في كتابها "أصحاب الكرامات" عن صورة رابعة الشعبية قائلة: "هي أشهر النساء العارفات بالله تعالى. قصتها

^{١١١} جلال الدين الرومي، العشق الإلهي، ترجمة خالد فاروق، (القاهرة: الكرمة، ٢٠٢٠)، ٨.

في حب الله تتناقلها الأجيال الإسلامية جيلا بعد جيل، لكونها نموذجاً رائعاً وقدوة صالحة لمن ترغب في معرفة طريق الله والإصرار على التمسك بدينه. وحياتها سراج يضيء الطريق إلى حب الله، ولذا لقبها الناس بشهيدة العشق الإلهي. "وقيل إن أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي عرض عليها الزواج وأغراها بالمال، لكنها كتبت إليه تقول: "الزهد في الدنيا راحة البدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن. فهمي زارك، وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك، ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك، وصم الدهر، واجعل فطرك الموت. وأما أنا فلوحولني الله أمثالك وحزت ما أضعافه فلم يسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين." وموقف رابعة هذا من الرجال، جعل مادحيها يتكثرون على أنها وجهت حبها إلى خالقها سبحانه وتعالى، وهنا يقول الدكتور فيصل بدر عون: "عاهدت رابعة نفسها منذ الصبا على ألا تقترن بأحد غير الله، حبيبها وأنيسها وسلوتها، برضاه ترضى، وبعشقه تهيم، وبشوقه تحيا". ومن هنا نجد طاقة الحب عند رابعة قد ولت وجهها تجاه الله. إن الحب بلا شك أقوى عواطف المرأة وأسلحتها. وقد كان على رابعة أن توجه هذه الطاقة نحو مرادها.^{١١٢}

وتكلم الشيخ عبد القادر الجيلاني حول المحبة والعشق والأمور المتعلقة بهما حيث قال:

"إذا صحت عبوديتك له أحبك وقوى حبه في قلبك وأنسك به وقربك منه من غير تعب ولا طلب لك صحبة غيره فتكون راضيا عنه في جميع الأحوال، فلوضيق عليك الأرض برحبها، وسد عليك الأبواب بسعتها لم تسخط عليه، ولم تقرب باب غيره، ولم تأكل من طعام غيره، تلتحق بموسى عليه

^{١١٢} عمار علي حسن، فرسان العشق الإلهي، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٤)، ١٥٦.

السلام حيث قال الله عز وجل في حقه".^{١١٣} ويعرف من هذا الكلام أنّ من طريق المحبة هو صحة العبودية حتى يكون الله حبيبه.

وقال أيضا: "هذا القلب إذا عرف الحق عز وجل وأحبه وقرب منه يستوحش من الخلق والكون إليهم يستوحش من أكله وشربه ولباسه ونكاحه، يستوحش من العمران ويهيم على وجهه إلى الخراب لا يقيدته شيء سوى أمر الشرع يقيدته في الأمر والنهي والفعل، يقيدته إلى أوقات مجيء القدر".^{١١٤} ويعرف من هذا الكلام أنّ المحبة من ثمرة المعرفة له جلّ وعلى حتى لا يكون في قلب العبد شيء من الخلق والكون.

وقال في باب "لا كحل للعاشق إلا السهار" حيث قال: "من أختار النوم على السهر هو سبب اليقظة فقد أختار الأتقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح، لأن النوم أخو الموت، ولها إذا لا يجوز النوم على الله عز وجل لما أنتفي عز وجل عن التّقائص أجمع وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى عنهم النوم، وكذلك أهل الجنة لما كانوا في أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصاً في حالتهم فالخير كل الخير في اليقظة، والشر كل الشر في النوم والغفلة عن المصالح".^{١١٥} ويعرف من هذا الكلام أنّ أهل العشق والمحبة كانوا يطلبون اللحوق والذكر ويعدون عن المفارقة والغفلة، فهم أهل العبادة لما كان فيه من كثرة الذكر لمحوبه وهو الله جلّ وعلى. ويبيّن أيضا عن أحوالهم وفائدة محبتهم لله حيث قال: "من ادعى محبة الله عز وجل وطلب منه غيره فقد كذب في محبته أما إذا صار محبوبا واصلا ضيفا مقربا يقال له اطلب وتشه وقل ما تريد

^{١١٣} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٣٣-٣٤.

^{١١٤} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ١٦٧.

^{١١٥} عبد القادر الجيلاني، ادب السلوك، (دمشق: دار السنابل، ١٩٩٥)، ١٤٥-١٤٦.

فإنك ممكن. الحب مقبوض والمحبوب مبسوط، الحرمان للمحب، والعطاء للمحبوب، ما دام العبد محبا فهو في الهيمن والتقطع والتمزق والكسب لأجل القوت فإذا انقلبت التوبة فصار محبوبا انقلب الأمر في حقه فجاء الدلال والرفاهية والسكون وسعة الرزق وتسخير الخلق، كل هذا ببركة صبره وثباته في حال محبته صحبة العبد الله عز وجل ومحبة الله عز وجل للعبد ليست كمحبة المخلوق للمخلوق، ربنا عز وجل: "ليس كمثل شئء وهو السميع البصير".^{١١٦} ويعرف من هذا الكلام أنّ المصداق في صدق المحبة هو استغراق جميع أوقاته وقوته لمحبه لا لغيره.

وقال في باب "عدم المشاركة في محبة الحق" حيث قال: "ما أكثر ما تقول كل من أحبه لا تدوم محبتي إياه فيحال بيننا إما بالغيبية أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد، فيقال لك: أما تعلم يا محبوب أنه تجمعت فيه إرادة كسرهما فعل الله وغيرته، فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة، وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة، فلم يخلص إلى القلب إرادة شئء من الأشياء، فحينئذ لا يضر القلب الأسباب من المال والولد والأهل والأصحاب والكرامات والحكم والعلم والعبادات، فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عز وجل بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفاً به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين عليه، فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عز وجل؛ فيكون خفيرا لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى".^{١١٧}

^{١١٦} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٣٨.

^{١١٧} عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، (مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٩٧٣)، ٧٦.

فكَلَّ الكلام من مباحث المحبّة دلالة أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني هو التفسير الصوفي لأنّ معنى الآية الذي بحثه في تفسيره فقد قاله العلماء التصوف فيه وقاله الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه أيضاً.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني عن نور الوجود الإلهي بكلامه أنّه بالجملة معنى نور الوجود الإلهي هو "نُورٌ عَلَى نُورٍ" أي النور الذي لا يدركه، ولا يتميّز، ولا يطّلع عليه أحد من مظاهره ومصنوعاته، بلا توفيق منه سبحانه وجذب من جانبه.

ونقل السمي قول الجوزجاني في قوله تعالى: "نور على نور" أي الرجاء مثل النور والخوف مثل النور، والمحبة مثل النور فإذا اجتمعت في قلب المؤمن يكون نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء يوصل الله إلى هذه الأنوار من نوره في الأزل، بأنوار قدسه فتغير هذه الأنوار التي في الباطن على الظاهر في أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وأعمال الفضائل، والتطوع فيصير المؤمن منورا بنور الله وإلى الله متصلاً بتوحيده يحول معه في ميادين الرضا ويجني ثمرات المحبة والصفاء فإن عمل أخلص، وإن فتر تحقر وهذا بيان قوله: نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء بنوره إلى قدرته، وبقدرته إلى غيبه وبغيه إلى قدمه ويقدمه إلى أزله، وبأزله وأبده إلى وحدانيته. ^{١١٨}

وقال محمد بن عمر الجاوي أنّ معنى "نور على نور" أي نور حاصل بالزيت، كائن مع نور بالنار في قنديل، فالزيت نور، والقنديل نور والمصباح نور فالمشكاة التي هي الطاقة غير النافذة أجمع للنور فيكون فيها أقوى مما لو كانت نافذة، فإن المصباح إذا كان في مكان متضايق كان أضواً وأجمع لنوره بخلاف المكان المتسع، فإن الضوء ينتشر فيه، فالقنديل أعون على زيادة الإنارة،

^{١١٨} محمد بن حسين بن موسى السلمى، حقائق التفسير، جزء ٢، ٥٠.

وكذلك ضوء الزيت، والمعنى: ذلك القرآن نور عظيم كائن على نور عظيم متضاعف من غير تحديد كتضاعف نور المشكاة بما ذكر. ١١٩

ويعرف من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه تكلم حول الجذب مع أن الجذب مبحث من مباحث التصوف، كما قاله محمد الدرقاوي أن الناس لا ينظرون المجذوب إلا بعين التعظيم، ولا ينظرونه قط بعين الاحتقار، مع أنه لا يصلي ولا يصوم، ولا يفعل شيئاً مما أمرنا الله به، لكن لما فقد عقله بسبب شهو د عظمة ربه كانت حقيقته حقيقة نورانية، ولم تكن -والله- ظلمانية، ومن كان هكذا كان -والله- ولي الله، ومن كذب فعليه لعنة الله. وحالة التجرد التي أنت عليها. يا أخي - حالة المجاذيب رضي الله عنهم فإن لم تقم بما فإن الناس يسفهونك، ويستقبحونك، ويؤذونك، ولا يظلمونك لأنك لم تقم بحالة الجذب بعدما أنت عليها، ولم تنتقل عن حالة السلوك بعدما أنت في حالة الجذب، لأنك في حالة السلوك وأنت تبطش إلى حالة الجذب، كما أنت في حالة الجذب وأنت تبطش إلى حالة السلوك، وحتما تؤذى من جهة أهل الجذب، فكلاهما يؤذيك ولا يظلمك، بل أنت ظلمت نفسك بسبب تذبذبك، إذ أنت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فلوقمت بحالة الجذب لكف عنك الأذى من جهة أهل الجذب، كما أنك لوقمت بحالة السلوك لكف عنك الأذى من جهة أهل السلوك، ولو جمعت بين جذب وسلوك، أو نقول: بين ظاهر وباطن، أو بين شريعة وحقيقة لكف عنك الأذى من الجهتين، ولكنت جنيدياً، أو غزالياً، أو شاذلياً، أو حاتمياً، أو مشيشياً، أو غوثياً، ونظرائهم ممن جمع بين السكر والصحو، كأستاذنا - رضي الله عنه - وأشياخه السادات أولاد الفاسي، والسادات أولاد ابن عبد الله بالمدينة الفاسية. دفع

١١٩ محمد بن عمر نوي الجاوي، مراح لبيد، جزء ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣)، ١١٣.

الله عنها كل بلية . ورضي الله تعالى عن ساداتنا أجمعين . وكنت أيضا -والله- مقبولاً . عند كافة أهل السلوك، وعند كافة أهل الجذب رضي الله عنهم.^{١٢٠} ويعرف من هذا الكلام أنّ أهل الجذب هم أفراد الناس الذين خصّصهم الله بفضله بجذبه عنده.

وكما قال محمود عبد الرؤوف القاسم أنّ من الأدعية التيجانية: اللهم اجذبني إليك قلباً وقالباً بجواذب عنايتك، والبسني خلعة استغراق أوقاتي في الاشتغال بك. ويقول الدكتور عبد الحلیم محمود "إننا لا نتحدث هنا عن طريق الاجتباء، فإنه في حقيقة الأمر ليس طريقاً بالمعنى العادي: إنه جذية من جذيات الحق في الحطة بعدها يتبدل المرء حالا بعد حال، ويدخل رحاب الحق جل وعلا، عبداً من عباده المخلصين." ويقول الدكتور سيد حسين نصر: (يتكلم عن المرشد) إلى أن يقول: "مثل هذا الشخص، إما أنه مسافر أدركته البركة الإلهية فهو سالك مجذوب، كان قد عبر أولاً جميع المفاز والأخاديد التي تعترض الروح. لكنه بمساعدة الجذب الإلهي بعد ذلك عاد من مقامات القلب ومصاعد الروح، وبلغ عالم الكشف واليقين. أو أنه ذاك الذي جذبته البركة الإلهية فسلك الطريق فهو "مجذوب سالك"، وكان قبلاً قد عبر بمساعدة الجذب الإلهي جميع المقامات وبلغ عالم الرؤيا والكشف عن الحقائق الإلهية.^{١٢١} ويعرف من هذا الكلام أنّ أهل الجذب اختارهم الله وليس باختيارهم.

ومبحث الجذب وما في معناه فقد قاله الشيخ عبد القادر الجيلاني في بعض كتبه، مثل قوله حول تمام دواء العبد من سقم قلبه هو بقره لربّه حيث قال: "إنما يتم لك الدواء إذا فارقت الخلق

^{١٢٠} محمد الدرقاوي، شور الهدية في مذهب الصوفية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، ١١٨-١١٩.

^{١٢١} محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصوفية، (بيروت: دار الصحابة، ١٩٨٧)، ٣٩٧-٣٩٨.

بقلبك وأوصلته بريك عز وجل ورفعته إليه بصير في السماء وروحك وبيتك في الأرض، تنفرد بقلبك مع الحق عز وجل بما يعلم وتشارك الخلق في العمل بالحكم لا تخالفهم في خصلة منه حتى لا يكون له ولهم عليك حجة تنفرد مع ريك عز وجل بباطنك وتكون مع الخلق بظاهرك".^{١٢٢} ويعرف من هذا الكلام أنّ أهل القرية من الله لا يخالفون خصلة من أعمال غيرهم، بل كان قلوبهم مع الله وأجسادهم مع الخلق.

وقال الشيخ عبد القادر حول الوصول إلى الله الذي بسببه جذبه الله إليه حيث قال: "يا غلام ثم أمور باطنة لا تنكشف إلا بعد الوصول إلى الحق عز وجل والقيام على بابه ولقاء المفردين والنواب الوقوف هناك، أما صرت إلى باب الحق عز وجل وأدمت الوقوف مع حسن الأدب والإطراق، فتح الباب في وجه قلبك وجذبه من جذب وقربه من قرب ونومه من نوم وزفه من زف وكحله من كحل وحلاه من حلّى وفرحه من فرح وآمنه من آمن، وحدثه من حدث، وكلمه من كلم، يا غافلين عن النعيم أين أنتم؟"^{١٢٣} ويعرف من هذا الكلام أنّه من حسن ادابه مع الله فسوف اختاره الله لقربه.

وتكلّم أيضا حول الجذب حيث قال: "إنما يصح الجذب بوجهين اثنين:

الأول: هو المجاهدة والمكابدة وحمل الأشق والأتعب وهو الغالب المعروف بين الصالحين.

والثاني: موهبة من غير تعب وهو نادر لأحد الخلق يهب لواحد معرفته والمحبة له يأخذه

من بين أهله وصنيعته ويظهر فيه قدرته، يأخذه من قطع الطريق ويقيه إلى الصومعة ويخرج الخلق من

^{١٢٢} عبد القادر الجيلاي، الفتح الرباني، ٥٧.

^{١٢٣} عبد القادر الجيلاي، الفتح الرباني، ٢٦٧.

قلبه ويفتح إليه باب قربه ويأخذه من الهديان حتى بكفيه أدنى شيء يرزقه فيها وحكا وعزا يصير كل ما يراه يتعظ به كل ما يسمعه يتعظ به ولا يعمل إلا بما يقربه إليه بأمر الهداية والعناية والكافية لا ينقطعون عنه يصير كما قال الله عز وجل في حق يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام. (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)^{١٢٤}. ويعرف من هذا الكلام أنّ الجذب لكثير من الصالحين فبسبيل المجاهدة والمكابدة وحمل الأثق والأتعب، وأما سبيل الموهبة فنادر من أخذته الله بجذبه عنده.

فكلّ الكلام من مباحث الجذب دلالة أنّ تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني هو التفسير الصوفي لأنّ معنى الآية الذي بحثه في تفسيره فقد قاله العلماء التصوف فيه وقاله الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه أيضا.

بل (يَهْدِي اللهُ) الهادي لعباده إلى صفاء توحيده (لِنُورِهِ) أي: ضياء وجوده وسعة رحمته وجوده (مَنْ يَشَاءُ) من عباده من جذبه الحق نحو جنابه، ووفقه الوصول إلى فناء بابه.

وعند ابن كثير رواية في تفسير "يهدي الله لنوره من يشاء" أي: يرشد الله إلى هدايته من يختاره، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري، حدثنا الأوزاعي، حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ،

^{١٢٤} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٨٤.

فمن أصاب يومئذ من نوره اهتدى، ومن أخطأه ضل". فلذلك أقول: جف القلم على علم الله، عز وجل. ١٢٥

وقال النيسابوري أنّ الأشاعرة في قوله "يهدي الله لنوره من يشاء" إشارة إلى أن هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفي ولا تنفع ما لم يخلق الله الإيمان فيه. ١٢٦ ومن هذين التفسيرين نجد معنهما قد تقاربا من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني لهذه الآية.

ج. خلفيّة مذهبه في التصوّف المؤثّرة في تفسير الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور

وهناك معان لكلمة النور وما في معناه من كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني في بعض مصنفاته. كما قاله حول النور أو الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور في بيان رؤية العبد ربّه، حيث قال: "فالرؤية على نوعين: رؤية جمالية في الآخرة بلا واسطة مرآة القلب. ورؤية صفاته في الدنيا بواسطة مرآة القلب بنظر الفؤاد من عكس أنوار الجمال كما قال الله تعالى: "ما كذب الفؤاد ما رأى" (سورة النجم: ١١) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "المؤمن مرآة المؤمن". والمراد من المؤمن الأول قلب عبد المؤمن، ومن الثاني هو الله تعالى كما قال الله تعالى: السلام المؤمن المهيمن... الخ (سورة الحشر: ٢٣). فمن رأى صفاته في الدنيا يرى ذاته في الآخرة بلا كسي. وجميع الدعاوى التي صدرت عن الأولياء في رؤية الله تعالى كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "رأى قلبي ربي" أي بنور ربي. وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا أعبد رباً لم أره". فذلك كله مشاهدة الصفات، كما أن من رأى شعاع الشمس من المشكاة ونحوها صح له أن يقول رأيت

١٢٥ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء ٦، ٦١.
١٢٦ الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الجزء الخامس، ١٩٨.

الشمس على سبيل التوسع. وقد مثل الله تعالى نوره في كلامه باعتبار صفاته بقوله تعالى "كشمسكور فيها مصباح" (سورة النور: ٣٥) فقد قالوا: المشكاة قلب المؤمن والمصباح سر الفؤاد، وهو الروح السلطاني، والزجاجة الفؤاد، وصفت بالدرية في شدة نورانية، ثم بين المعدن فقال الله تعالى: "يوقد من شجرة مباركة" (سورة النور: ٣٥) وهي شجرة التلقين، والتوحيد الخاص يكون من لسان القدس بلا واسطة كما تعلق القرآن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم منه في الأصل، ثم نزل جبرائيل عليه السلام لمصلحة العوام، وإنكار الكافر والمنافق، والدليل عليه قوله تعالى: "تلقى القرآن من لدن حكيم عليم" (سورة النمل: ٦). ولذلك يشرع النبي صلى الله عليه وسلم ويسبق جبرائيل عليه السلام في الوحي، حتى نزلت فيه آية كما قال الله تعالى: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه" (سورة طه: ١١٤) ولذا تأخر جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج، ولم يستطع أن يتجاوز من سدرة المنتهى. ثم وصف الشجرة بقوله تعالى: "لا شرقية ولا غربية" (سورة النور: ٣٥) لا يعرضها الحدوث والعدم والطلوع والغروب بل أزلية لم تنزل كما أن الله واجب الوجود قديم أزلي لم ينزل ولا يزال أبدي. فكذا صفاته تعالى لأنها أنواره وتجلياته. وهي نسبة قائمة بذاته فلا يبعد أن يكشف حجاب النفس من وجه القلب، فيحيي القلب بإضافة تلك الأنوار، فيشاهد الروح من تلك المشكاة صفات الحق مع أن المقصود من خلق العالم كشف ذلك الكنز المخفي كما مر في البيت. وأما رؤية ذات الله تعالى فهي في الآخرة بلا واسطة المرآة ينظر السر، وهو المسمى بطفل المعاني، كما قال الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها ناظرة" (سورة القيامة: ٢٢).^{١٢٧} ويعرف من هذا الكلام أنّ النور له تعالى هو مظهر صفاته الذي نراه في الدنيا، وهذا النور من تجلياته جلّ وعلى.

^{١٢٧} عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار، (اللجين: دار ابن القيم، ١٩٩٤)، ٨٦-٨٧.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني في بيان نوره تعالى حيث قال في كتاب أداب السلوك باب لا نور إلا من شكات!: "تعام عن الجهات كلها ولا تبصص على شيء منها، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح عن لك جهة فضل الله عز وجل وقربه، فسد الجهات جميعها بتوحيدك، واحمها بيقينك، ثم فنائك ومحوك وعلمك، فحينئذ يفتح في عين قلبك جهة الجهات وهي جهة فضل الله العظيم . فتراها بعيني رأسك إذ ذاك بشعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك عليك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهره كنور الشمعة التي في البيت المظلم في ليلة ظلماء، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله عز وجل وعطائه عطاء غيره ووعد غيره عز وجل. فارحم نفسك ولا تظلم قلبك ولا تلقيهما في ظلمات جهلك ورعونتك، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب، فتتكلم عليها، فتسد عنك الجهات ولا يفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل، فإذا وجدته عز وجل ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه، قريك وأدناك، ورحمك ورباك، وأطعمك وشهاك، ودأوك وعافاك، وأعطاك وأغناك، وبشرك ووالاك، ثم محاك عن الخلق وعن نفسك وأفناك، فلا ترى بعد ذلك لا فقرك ولا غناك".^{١٢٨} ويعرف من هذا الكلام أنّ النور الذي في قلب المؤمن هو اصل صفاته الكريمة وأخلاقه المحمودة، كما أنّه ينظر الله (أي صفاته) في كلّ حال فلا يمكن له أن يعمل شيئاً من المذمومات.

وقال أيضا في باب إنما يدل النور على المصباح والأريج على الأزهار: "وفي معناه ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض

^{١٢٨} عبد القادر الجيلاني، اداب السلوك، ١٥٨.

جميعاً منه" (سورة الجاثية: ١٣)، فقال: في كل شيء أسم من أسمائه، وأسم كل شيء من اسمه تعالى. قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه، ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها، لأن في الصنعة دلالة على الصانع، وفي القدرة المحكمة أية تدل على الفاعل الحكيم، فإن الأشياء كلها موجودة به. فإنما أنت أسمائه وصفاته وأفعاله، باطناً بقدرته وظاهراً بحكمته، ظهر بصفاته وبطن بذاته، حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، وكشف العلم بالإرادة، وأظهر الإرادة بالحركات وأخفي الصنع والصنعة، وأظهر الصنعة بالإرادة، هو باطن في غيبه وظاهر في حكمته وقدرته. "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" (سورة الشورى ١١/٤٠). ولقد أظهر في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح، أمره برفع يد العصمة بابتهاج: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".^{١٢٩} ويعرف من هذا الكلام أن النور دليل على المظهر كما أن الصنعة دليل على الصانع، والله تعالى الذي خلق السموات والأرض فكل ما نرى فيهما من المخلوقات دليل على وجوده تعالى.

وبيّن الشيخ حول الطريقة الموصلة إلى حال حياة النور في قلب العبد حيث قال: "وإزالة هذه الصفات الذمائم بتصقيل مرآة القلب بمصقل التوحيد وبالعلم والعمل والمجاهدة القوية باطناً وظاهراً؛ فتحصل حياة القلب بنور الأسماء والصفات فيذكر وطنه الأصلي فيشتاق إليه فيرجع ويصل بعناية الرحمن. وبعد ارتفاع هذه الحجب الظلمانية تبقى النورانية ويصير بصيراً ببصيرة الروح، ومنوراً

^{١٢٩} عبد القادر الجيلاني، اداب السلوك، ١٨٦.

بنور الأسماء والصفات حتى ترتفع الحجب النورانية تدريجاً؛ فينور بنور الذات".^{١٣٠} ويعرف من هذا الكلام بإزالة صفات الذمائم تحي القلب وتصفيه، فيحي بنور الله ويزول الظلم الذي يحجبه عن الله.

وبين أيضا حول تبديل الظلام في القلب بالضياء المنورة له حيث قال: "يا علماء يا جهال يا حاضرون ويا غائبون استحيوا من الله عز وجل. وانظروا بقلوبكم اليه ذلوا له. صيروا أنفسكم تحت مطارق قدره. وألزموها بالشكر على نعمه، واصلوا الضياء بالظلام في طاعته. فإذا تحقق ذلك منكم جاءكم كرامة الله عز وجل وعزه وجنته في الدنيا والآخرة".^{١٣١} ويعرف من هذا الكلام أنّ مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني الطاعة بالضياء والمعصية بالظلم، فمن أراد الضياء بالطاعة ومن أراد الظلم بالمعصية.

وبين أيضا حول الضياء الباطن التي تظهر برسوخ علم الباطن حيث قال: "يا غلام أما سمعت: تفقه ثم اعتزل، تفقه بالفقه الظاهر ثم اعتزل إلى الفقه الباطن، اعمل بهذا الظاهر حتى يقربك العمل إلى علم لم تكن تفعله، هذا العلم الظاهر ضياء الظاهر والباطن ضياء الباطن. هو ضياء بينك وبين ربك عز وجل، كلما عملت بعلمك قربت طريقك إلى الحق عز وجل واتسع الباب بينك وبينه ورفع مصراع الباب الذي يخصك".^{١٣٢} ويعرف من هذا الكلام أنّ العلم نور، فعلم الظاهر نور في الظاهر وعلم الباطن نور في الباطن.

^{١٣٠} عبد القادر الجيلاني، سر الأسرار، ٩٠.

^{١٣١} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٥٥.

^{١٣٢} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٦٣.

ويبين أيضا أنّ في متابعة الصالحين أثر كبير في حياة نور القلب المؤمن حيث قال: "وإذا كنت على أثر القوم قولاً وفعلاً خلوة وجلوة، علا وعملاً صورة ومعنى؛ تصوم كصيامهم وتصلي كصلاتهم وتأخذ كأخذهم وتترك كتركهم وتجهم فحينئذ يعطيك الله نورا ترى به نفسك وغيرك، يبين لك عيوبك وعيوب الخلق فتزهد في نفسك وفي الخلق أجمع، فإذا صح لك ذلك جاءت أنوار القرب إلى قلبك صرت مؤمناً موقناً عارفاً عالماً فترى الأشياء على صورتها ومعانيها".^{١٣٣} ويعرف من هذا الكلام أنّ النور في القلب بحياته بمتابعة الصالحين والعارفين بالله جلّ وعلى.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّ رؤية الله في الدنيا هي بأعين القلوب، فإذا صفا وطهر رءاه حيث قال فيه: "من رأى محبا لله عز وجل فقد رأى من رأى الله عز وجل بقلبه دخل عليه بسره، ربنا عز وجل شيء موجود مرئي، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "وسترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضامون في رؤيته". يرى اليوم بأعين القلوب وغدا بأعين الرؤوس: "ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير". المحبون له رضوا به دون غيره استعانوا به واقتصروا عن سواه صارت مرارة الفقر عندهم حلاوة الفقر من الدنيا عندهم والرضا به عندهم، والتنعيم به عندهم، غناهم في فقرهم نعيمهم في أسقامهم، أنسهم في وحشتهم، وقربهم في بعدهم راحتهم في تعبهم طوبى لكم يا صبرا يا راضين، يا فانيين عن نفوسهم وأهوايتهم".^{١٣٤} ويعرف من هذا الكلام أنّ نظرة الله بعين الرؤوس محلّه في الآخرة ليس في الدنيا، وأمّا في فننظره بعين القلب الصافي الطاهر.

^{١٣٣} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ١٣٦.

^{١٣٤} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ١٤٢-١٤٣.

وقال حين صفا قلب المؤمن فحسن توحيده فمنه أعطاه الله النور حيث قال: "يا غلام متى يصفو قلبك ويصفوسرك وأنت مشرك بالخلق وكيف تغلح وأنت في كل ليلة تعين من تمضى إليه وتشكو إليه وتكدي منه، كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التوحيد ما فيه ذرة منه، التوحيد نور والشرك بالخلق ظلمة".^{١٣٥} ويعرف من هذا الكلام أنّ أساس النور في القلب هو التوحيد بالله وأنّ أساس ظلمه الشرك بالله.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتاب فتوح الغيوب عند بيان حول الكشف والمشاهدة، "أنّ المشاهدة تنقسم إلى قسمين وهي مشاهدة الجلال ومشاهدة الجمال، فمشاهدة الجمال: فهو تحلى القلوب بالأنوار والسرور والألطف، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل مما سيؤول أمرهم إلى الله، وجفّ به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلا منه ورحمة، وإثباتا منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدر، لتلا يفرط بهم المحبة من شدّة الشوق إلى الله تعالى فتتفطر مراتهم. فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل لطفًا منه ورحمة ومداواة، وتربية لقلوبهم ومداراة لها (إنه حكيم عليم) لطيف بهم (رعوف رحيم) ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لبلال المؤذن رضى الله عنه "أرحنا يا بلال بالإقامة، لندخل في الصلاة" لمشاهدة ما ذكرنا من الحال، ولهذا قال "وجعلت قرّة عيني في الصلاة".^{١٣٦} ويعرف من هذا الكلام أنّ من استعمل عينه في مشاهدة جمال الله فيحصل به جميع الأخلاق الحمودة ويحضّنه على مداومة العبوديّة.

^{١٣٥} عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ٢٨٣.

^{١٣٦} عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب، ٢٢.

ويبين الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّ من الطريقة الموصّلة إلى حياة نور قلب المؤمن هي العمل بالكتاب والسنة حيث قال: "يا غلام القلب إذا عمل بالكتاب والسنة قرب، فإذا قرب علم وأبصر ما له وما عليه، وما لله عز وجل وما لغيره وما للحق وما للباطل. إذا كان المؤمن له نور ينظر به فكيف لا يكون للصديق المقرب. المؤمن له نور ينظر به؛ ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من نظره فقال: "إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل". والعارف المقرب يعطى أيضاً نوراً يرى به قربه من ربه عز وجل، ويرى قرب ربه عز وجل من قلبه، ويرى أرواح الملائكة والنبيين وقلوب الصديقين وأرواحهم، يرى أحوالهم ومقاماتهم، كل هذا في سويداء قلبه وصفاء سره، وهو أبداً في فرحة مع ربه عز وجل، وهو واسطة بأخذ منه ويفرق على الخلق. منهم من يكون عليهم اللسان والقلب، ومنهم من يكون عليهم القلب الكن اللسان، وأما المنافق فهو عليهم اللسان أكن القلب، كل علمه في لسانه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليهم اللسان".^{١٣٧} ويعرف من هذا الكلام أنّ من استرق أوقاته في طاعة الله فسوف يعطى الله نوراً ينظر به حتى يعرف ما له وما عليه، ولا يعطيه الله الا لعبده المؤمن.

ويبين أيضاً أنّ من أعطاه الله نوراً فيسعى النور من بين يديه حيث قال: "من عمل صالحاً صار عمله نوراً يسعى بين يديه ومركوباً تحته، تظهر أعمال قلبه على وجهه، يصير وجهه كالبلدر ويصير كأنه ملك يفرح قلبه بما يرى من إكرام الله عز وجل له، يبشره عمله بما أعد الله عز وجل له في الجنة. العمل الصالح يصير صورة يقول له: أنا بكأوك وصبرك وتقواك وإيمانك وتيقنك وصلاتك

^{١٣٧} عبد القادر الجيلاني، جلاء الخاطر، ٢٤.

وصومك ومجاهدتك وشوقك إلى ربك عز وجل، ومعرفتك له وعلمك عملك وأدبك بين يديه عز وجل، فينزل ثقله، ويسكن روعه، ويتقلب خوفه أمنًا، وشدته رخاءً".^{١٣٨} ويعرف من هذا الكلام أنّ العمل الصالح يحصل نورا في قلب المؤمن ويعسى النور في وجهه منذ في الدنيا إلى الآخرة.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنّ من أعطى الله له نورا فله خصائص حيث قال "المؤمن يعرف الخلق، له فيهم علامات، قلبه حساس ينظر بنور الله عز وجل الذي سكن في قلبه النور، نور القلوب. الطهارة طهارة القلوب والأسرار والخلوات. إذا لم يكن قلبك طاهراً وخلوتك طاهرة فما تنفك طهارة ظاهرك، لو اغتسلت كل يوم ألف مرة ما زال من وسخ قلبك شيء. المعاصي رائحة خبيثة، يعرف بها الذين ينظرون بنور الله عز وجل، لكنهم يسترون على الخلق ولا يفضحونهم".^{١٣٩} ويعرف من هذا الكلام أنّه من أعطاه الله نورا في قلبه فيرى الخلق لهم علامات، لأنّه ينظر بنور الله يعلم السرّ والعلن.

وللشيخ عبد القادر الجيلاني حزب يسمّى حزب النور وقضاء الحوائج، وهو: بسم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الله نور النور الحمد لله الذي هو مدبر الأمور والحمد لله الذي هو خالق النور وأنزل التوراة على جبل الطور في كتاب مسطور، وعلى السراء والضراء مشكور. الحمد لله الذي أنزل الكتاب، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. كهيعص حم عسق إياك نعبد وإياك نستعين الله لطيف بعباده. يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. يا كافي كل شيء اكفني من كل شيء

^{١٣٨} عبد القادر الجيلاني، جلاء خاطر، ١١٣.

^{١٣٩} عبد القادر الجيلاني، جلاء خاطر، ١١٥.

واصرف عني كل شيء، فإنك قادر على كل شيء، سبحان الله ولا إله إلا الله والحمد لله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير الأسماء إله الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. بسم الله أصبحت وأمسيت وعلى الله توكلت. اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم، وبوجهك الكريم الأكرم، وأسألك بفضلك على جميع خلقك يا رفيع الدرجات يا مجيب الدعوات، يا عالم السر وأخفي، يا غافر الخطيئات يا قابل التوبات، يا مقيل العثرات، يا مضاعف الحسنات، يا متجاوزاً عن السيئات، يا مفرج الكربات، يا قابل الصدقات، يا دافع البليات، يا واسع العطيات، يا هادياً الضلالة، يا فاطر السموات، ويا منزل الآيات من فوق سبع سموات يا ساتر القبيحات، يا قاضي الحاجات، يا دافع البليات يا عظيم الرجاء، انقطع الرجاء إلا منك. أسألك أن تصلي على سيدنا محمد خير خلقك ومظهر حَقِّك، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم بحق هذا السر المكتون المخزون، الذي هو بين الكاف والنون. أن تجعل لي من كل هم وغم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً وأن تجمع لي بين خير الدنيا والآخرة، وأن تقضي حاجتي التي أنت تعلمها في وقتي هذا من خير الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين (ثلاثاً). انتهى^{١٤٠} ويعلم من هذا الحزب أنّ الشيخ عبد القادر الجيلاني يستعمل كلمة النور لتكون عبارة عن ظهور كمال نور الله المنظور في نفس نبينا محمد.

نقل الشيخ منال اليمنى عن شعر الشيخ عبد القادر الجيلاني حول نور الإيمان:

^{١٤٠} عبد القادر الجيلاني، الأوراد القادرية، (بيروت: دار الألباب، ١٩٩٢)، ٧٢-٧٣.

نور الإيمان

يقول المعشوق: أيها العاشق! لو أنك تصبر!

لا تشكو من فراقنا، واصبر حتى النفخ في الصور

في ذلك المجلس الذي يشاهد فيه الخلق وجه الله تعالى

يتصاعد البخور من أكباد العاشقين!

أنا من يوقظك من نوم الغفلة

فكيف تقول اغفر لي ذنوبي أيها الغفور؟

القبر مهد، وأنت طفل، والقابلة لطف الحبيب

ينومك هاننا، ويجعلك تنام حتى يوم النشور

نور الإيمان في القلب، والقلب بلاط نور الحق

ما أطيب السراج الذي يبعث النور امام نور النور!

أيها العاصون! إن يغفر الله لكم

يكون أفضل من ارتدائكم الفراء مثل السنجاب والسمور بلا شك

يشرق وجهك بالنور الإلهي واصفرار وجهك يجور على حمرة وجناتك

وضعت الحور العين الخال الأسود على الخد من لون بلال

انظر: ما أطيب الماشطة التي ظهرت في الحبش!

جاء هذا النداء في التجلي: إنه سوف يراني

كل من جال بخاطره قضاء الليل في حضور معي

حين تخرج من الدنيا، استقبلك وأقول يا محيي ما أطيب قطعك هذا الطريق البعيد.^{١٤١}

فهذه المباحث النور الذي قالها الشيخ عبد القادر الجيلاني من خلال كتبه دلالة أنّ أراءه في التصوّف متأثرة في تفسيره لأية ٣٥ من سورة النور، لأنّ جميع مباحثه داخلة في تفسيره لهذه الآية.

ويعرف من تفسير الشيخ عبد القادر الجيلاني اية ٣٥ من سورة النور ومعنى النور الذي بيّنه في عدّة مواضع من حلال كتبه أنّه فسّره بتفسير صوفيّ إشاريّ. ومنبع الصوفيّ في شعره وكلامه فقد قاله العلماء أنّ منبعه القلب والعلوم الرياضية. كما قاله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي: "وفي تجلي الغيب يحصل الاستعداد الذي يكون عليه قلب العارف. وقد ذهب جمهور الصوفية إلى أن الحق يتجلى لقلب كل عبد بحسب استعداد ذلك القلب، ولكن ابن عربي يخالفهم في هذا الرأي ويذهب إلى أن قلب العارف يتلون في كل لحظة بلون الصورة التي يتجلى له الحق فيها، فهو هيولي الصور أو الاعتقاد كما أشرنا، ولهذا قال: "فإن العبد - ويقصد به العارف خاصة - يظهر للحق: والمراد يظهر قلبه للحق: على قدر الصورة التي يتجلى له فيها الحق". وقد شرح هذا المعنى من قبل في قوله: "فإن القلب من العارف أو الإنسان الكامل بمنزلة محل فص الخاتم من الخاتم لا يفضل: بل يكون على قدره وشكله". فكأن المسألة إذن ليست مسألة استعداد للقلب يحصل تجلي الحق بمقتضاه، فإراه القلب على هذا النحو أو ذلك ويدركه في هذه الصورة أو تلك، بل المسألة مسألة مرآة تنعكس عليها صور جميع الموجودات فيدركها قلب العارف على أنّها صور للحق ويتشكل بشكلها ويتلون بلونها ويضيق ويتسع بضيفها وسعتها، لأن

^{١٤١} منال اليمنى عبد العزيز، الغوث الأعظم، (القاهرة: الفكر الجديد، ٢٠١٦)، ١٩٧.

القلب من الصور كفص الخاتم من الخاتم. على أن هذا لا يمنعنا من أن تسمى قدرة القلب على قبول جميع صور التجلي الإلهي استعداداً أيضاً وأن قلب العارف قد قدر له ذلك في عالم الغيب كما قدر لغيره إلا يدرك من صور التجلي إلا صورة واحدة. ولكن الأولى أن نقول إن تفسير الصوفية لتجلي الحق في قلب العبد تفسير صوفي، وتفسير ابن عربي تفسير فلسفي متأثر بمذهبه في وحدة الوجود^{١٤٢}. وكما قاله السيد حسين نصر أن منبع تفسير الصوفي هو روح الدين وفلسفة العلوم الرياضية.^{١٤٣}

وهذا الكلام موجود في نفس الشيخ عبد القادر الجيلاني عند تفسير آية القرآن كما قاله الشيخ محمد فاضل الجيلاني أن مؤلف هذا الكتاب لا يفسر القرآن تفسيراً يعتمد على العلم والفهم كما في التفاسير الأخرى، وإنما يعتمد على الإيحاءات التي تحيي الروح، وتكرس التقوي من جانب، ومن جانب آخر تربط الطالب المرید بشيخه، ليستطيع أن يستمر في التأثير والارتقاء بالطالب إلى أعلى الدرجات. لهذا سمي مؤلفه هذا (بالفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية)، وهذا حقيقة محضة، ولفتة بارعة من العالم الرباني، والقطب الروحاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني رضوان الله عليه، ليضعنا في صلب مؤلفة، فهوام يسمه تفسيراً للقرآن الكريم، وإنما سماه (بالفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية) أي هو يتحدث عن تأثير إيحاءات القرآن على نفسه العائدة الزاهدة المتريفة في سلم ودرجات القرب والوصول إلى الله سبحانه وتعالى، والقرآن إيحاءات وإشارات مختلفة من شخص إلى آخر، كل على

^{١٤٢} محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي، فصول الحكم، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، مجهولة السنة)، ٣٠٤.

^{١٤٣} ماي خواص، التحيز في تفسير العمارة الإسلامية بين ثنائية الشرق والغرب، (القاهرة: أغلو، ٢٠٢١)، ٨.

حسب مجاهدانه وجهاده في الله كما في الآية الكريمة (والذين جهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ٥)، ولم نقل الآية سبيلنا بالمفرد، وإنما قال سبيلنا بالجمع، أي لكل إيجاباته وإشاراته الخاصة من خلال القرآن الكريم، وتأثيره عليه، وتأثره به، حسب المرحلة التي هو فيها، وفي كافة مناحي الحياة التي يعيشها".^{١٤٤}

وقال عبد الله خضر حمد في بيان منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في إيضاح العقيدة، مثل بيانه حول توحيد الأسماء والصفات: وأشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى هذا التوحيد بقوله: *إنفوا ثم أثبتوا، إنفوا عنه مالا يليق به، وأثبتوا له ما يليق به، وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم وقال الله: "ولا نخرج عن الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بها فيهما ونكل الكيفية إلى علم الله".* فاشتمل كلامه الله على الأساس الثلاثة التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وهي: تنزيه الله جل عن مشابهة خلقه، إثبات الأسماء والصفات، الاعتراف بالعجز عن إدراك الكيفية^{١٤٥}. ويعرف من هذا البيان أنّ من مناهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في بيان العقيدة هي إثبات الأسماء والصفات، وهذا المنهج قد وجده الباحث في تفسيره لآية ٣٥ من سورة النور لكثير بيانه حول الأسماء والصفات له تعالى.

قال الشيخ علي محمد محمد الصلابي إنّ منهج الشيخ عبد القادر في توضيح العقيدة هو كما كان يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: *"اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح"*

^{١٤٤} محمد فاضل الجيلاني، تفسير الجيلاني، جزء ١، ٢٨-٢٩.

^{١٤٥} عبد الله خضر حمد، ديوان عبد القادر الجيلاني، (بيروت: دار القلم، مجهولة السنة)، ٣٨.

والصحابة"، ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني يلاحظ الباحث أن له منهجاً واضح المعالم في إيضاح القضايا التي يعالجها خصوصاً قضايا العقيدة. ويمكن تلخيص منهجه: الإمساك بما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسول الله. من إثبات أو نفي، وهذا واضح جلي في قوله: "ونعوذ بالله من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله".^{١٤٦} ويعرف من هذا البيان أن منهجه متمسك بالكتاب والسنة وبعيد من قول ما لا نقل فيه.

وقال الشيخ محمد فاضل الجيلاني في بيان منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني عند تفسير آية القرآن، وهو أن الشيخ عبد القادر الجيلاني شرع بتفسير جزء منتخب من الآية فقرة بعد فقرة بتفسير وتوضيح موجز على المنهج الذي يسير عليه، من دون إشارة إلى الإعراب واللغة والقراءة والبيان الظاهري من الآية، أو الأقوال التي وردت في الآية، أو المأثور الذي يمكن أن يستفاد منه في تفسير الآية، أو سبب النزول وغير ذلك من الأمور المتداولة في أغلب التفاسير.^{١٤٧}

ومنهج الشيخ عبد القادر الجيلاني ليس ببعيد من مناهج المفسر الصوفي الآخر مثل الإمام القشيري و الشيخ السلمي، فلإمام القشيري مناهج في تفسيره:

١. يعتبر هذا التفسير من الكتب القيمة عند الصوفية، لأنه يحتوي على تفسير اشاري يحاكي القلوب والعقول بأسلوب يتميز عن سائر مؤلفات الصوفية المتصفة بالتعقيد واللغز، فأسلوبه اقرب إلى التناول في الفهم من كثير من التفاسير الصوفية، فهو سهل المأخذ واضح العبارة موجز اشد الإيجاز: قال في مقدمته " وكتابتنا هذا يأتي على ذكر طرف من

^{١٤٦} علي محمد محمد الصلاحي، الأمير عبد القادر محيي الدين الجزائري، (مجهول المكان: مركز الكتاب الأكاديمي، مجهولة السنة)، ٩٦-٩٧.

^{١٤٧} محمد فاضل الجيلاني، تفسير الجيلاني، جزء ١، ٢٨.

اشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، أما من معاني عقولهم، او قضايا اصولهم، سلكتنا فيه طريق الاقلال خشية الملل".

٢. ولما كان بهذه الصفة (اعني بيتغي بتفسير أدقيق الاشارات وخفي الرموز على وفق ما يجري عليه أهل المجاهدة ودروب الارادة ، وناشدي طريق الحقيقة) نجده يعنى بهذه الجوانب عناية زائدة، فهو "ينظر إلى اللفظة القرآنية على انها جوهر يدق على الفهم العادي، وأهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم بفضل الله. العلم الذي يكشفون به عن هذا الجوهر" ولا يقف عند معاني تلك الالفاظ من الوجهة اللغوية، حتى غلبت هذه الامور على تفسيره وطبعته بطابع خاص يتجلى في تفسيره الآيات على ما يعزز تلك الجوانب الإشارية.

٣. ونتيجة لذلك لم يطل في ذكر الاحكام الشرعية والفروع الفقهية لانه كتابه ليس محلا لذلك، وإنما لهذه الاحكام كتب اخرى، وهو إذا ذكر تلك الاحكام فهو يذكرها للحث على التغلغل في بواطنها ومعرفة جواهرها.^{١٤٨}

منهج الشيخ السلمي في كتابه حقائق التفسير يرى أن معاني كلام الله تعالى غير محصورة بالمعاني اللغوية بل له مكنونات واسرار خص بها أهل الحقائق، فجعلهم أهل الفهم لخطابه والعالمين بلطائف ودائعه فأخبروا عن طرف منه باشارات تحفي وتدق الا على أربابها، ولما لم يشتغل احد بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة على نحو يستوفي ذلك الا آيات نسبت إلى ابي العباس بن عطاء وآيات ذكر انها عن جعفر بن محمد الصادق على غير ترتيب ، أحب الشيخ

^{١٤٨} مساعد مسلم ال جعفر، مناهج المفسرين، (مجهول المكان: دار المعرفة، ١٩٨٠)، ٢٢٨-٢٢٩.

السلمي أن يضم إلى ذلك مقالاتهم مرتبا على السور فألف هذا التفسير مبينا أقوالهم في ما حوته
بواطن الآيات من الاسرار؛ لأن للقرآن ظاهرا وباطنا كما يقول. وعلى ذلك يعد تفسيره جمعاً
لمجموعة الاقوال المنقولة عن أئمة التصوف ومشايخهم ، وليس تأليفا بالمعنى الاصطلاحي.^{١٤٩}

ومن هذه المناهج المفسر الصوفي ومنهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في تفسير اية القران
فعرفنا أنّ المفسر الصوفي الإشاري يفسر القران على سبيل توضيح الإشارة الخفية ومعان الباطنة
للآية الكريمة. ولم يشتغل المفسر الصوفي بمسائل الفقهية وغيرها من العلوم.

^{١٤٩} مساعد مسلم ال جعفر، مناهج المفسرين، ٢٣٢.